الوقف والابتداء

في

ضوء علم اللغة الحديث

دكتور

أحمد عارف حجازي عبد العليم

كلية الدراسات العربية

جامعة المنيا

١٩٩٥ م

الناشر

دار حراء للنشر والتوزيع

٢٠ ش ٦ أرض سلطان - المنيا

بسم الله الرحمن الرحيم

«رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى، وأن أعمل صالحا ترضاه، وأصلح لى فى ذريتى، إنى تبت إليك وإنى من المسلمين»

سورة الأحقاف ٤٦/١٥



إلى من ابتدأت منهما خلقاً وخلقاً

ولم أقف

أمي ... أبي

مقدمة

نزل القرآن الكريم على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من لدن رب العالمين؛ على مدى ثلاث وعشرين سنة؛ ثلاث عشرة سنة فى مكة، وعشر سنين فى المدينة المنورة. وقد قرأه جبريل عليه السلام على الرسول الكريم؛ بلفظه، فحفظه منه صلى الله عليه وسلم.

ولما كان الهدف من نزول القرآن الكريم هو إبلاغه للناس كافة؛ فقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم بتبليغه لهم: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك)[١].

وهذا التبليغ هو قراءته صلى الله عليه وسلم القرآن لصحابته رضى الله عنهم، مع بيان تفسيره، وأحكامه، وناسخه، ومنسوخه،ومحكمه، ومتشابهه، ومطلقه، ومقيده، ومكيه، ومدنيه.

وإذا كان القرآن الكريم كتابا باللغة العربية، فهذه اللغة رموز صوتية مكتوبة أو منطوقة للتعبير عن معان معينة، وهى مكونة من فونيمات محددة Phonemes وجمل لانهائية متولدة من هذه الفونيمات[٢].

وعند نطق أية لغة، أو - بتعبير أدق - عند نطق أى كلام مكتوب بأية لغة، فلابد من قمم وأغوار فى السلسلة الكلامية. وهو مايسمى النبر Stress[٣].

كما أنه لابد من شهيق وزفير أثناء عملية الكلام؛ إذ الصوت لايحدث إلا من اندفاع هؤلاء الرئتين خارج الفم عبر الحنجرة والأحبال الصوتية وتجويف الفم أو الأنف.

---

١) من سورة المائدة ٥/ ٦٧

٢) - N. chomskyi ;Sintactic structure; p13
- John Iions; New Horizons; P. 24
- R. Fowler; An Introduction to Transformational; P. 3,4

٣) انظر: اللغة لفندريس ٨٧

من هنا فإنه لاتتصل الكلمات كلها فى النطق، بل لابد من الوقف عند كل مجموعة كلمات تكون معنى ما.

نأخذ من ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم لم ينطق كلمات القرآن الكريم كلها دفعة واحدة. بل كان يقف عند آخر بعض الكلمات،وهو ماتلقفه الصحابة عنه، وقرأوا به.

انقضى عصر الصحابة، وجاء التابعون من بعدهم، فقرأوا القرآن الكريم، ووضع بعضهم بعض الأسس؛ أو استنبط بعضها؛ كى يسير عليها من يريد قراءته.

ثم جاءت خطوة أخرى، وهى التأليف في قراءة القرآن الكريم وكيفية نطق ألفاظه وقراءاته؛ سواء المتواترة الصحيحة منها أم الشاذة. وامتلأت كتب إعراب القرآن بذلك، كما جاء بعضها فى كتب الحديث، وكتب التفسير.

واهتم بعض أصحاب كتب القراءات بموضوع الوصل والفصل، ثم أفردت لهذا الموضوع كتب مستقلة. ومن ثم فقد قسموا الفصل إلى أقسام منها:

(حسن ـ تام ـ كاف ـ قبيح).

وقد عرفوا الفصل بالوقف أو القطع، وعرفوا الوصل بالابتداء أو الائتناف.

ورأوا أن الوصل قد يغير المعنى المراد من الآية نفسها إذا نطقت بالفصل عند كلمة معينة.

مثال ذلك قوله عز وجل:

(فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض)[١].

فإذا وقفنا عند كلمة عليهم، تصير الآية جملتين:

الأولى اسمية منسوخة بإن، وقد أبهم التحريم فيها وأطلق.

والثانية فعلية؛ حددت التيه بأربعين سنة.

---

٤ من سورة المائدة ٥/ ٢٦

وأما إذا وصلنا المركب العددى (أربعين سنة) بالجملة الأولى، ثم وقفنا بعده، لنبدأ جملة جديدة، فإن المعنى يتغير، حيث يتحدد هنا زمن التحريم بأربعين سنة، على حين يطلق زمن التيه دون تحديد.

أ ـ فإنها محرمة عليهم.

ب ـ أربعين سنة يتيهون فى الأرض.

جـ ـ فإنها محرمة عليهم أربعين سنة.

د ـ يتيهون في الأرض.

ذلك هو ماتناوله بحثى هذا؛ ليرى كيف تعامل اللغويون العرب مع هذا النص الكريم، وكيف أثر الفصل والوصل فى استنباط بعض الأحكام الفقهية، وتوجيه القراءات، وفهم المعنى. وذلك في إطار النظرة اللغوية الحديثة؛ التى تتعامل من منطلق فهم اللغة ودراستها لذاتها ومن أجل ذاتها [١]، دون التدخل فى تحسين الوصل على الفصل فى موضع ما أو الفصل على الوصل فى موضع آخر. إذ ليس من مهمة الباحث اللغوى تفضيل استعمال لغوى Preformance على استعمال آخر، بل تتجلى مهمته فى وصف الواقع اللغوى وتحليله ـ حسب المنهج الذي ارتضاه لنفسه سبيلا.

وعلى الله قصد السبيل.

د. أحمد عارف حجازى

منسافيس فى

٣/١١/١٩٩١م.

---

(١) وهى مقولة للعالم السويسرى فردينان دى سوسير
F. De Saunure
انظر: علم اللغة العام ٢٥٣

الفصل الأول

تعريف المصطلحات

لايعتمد الفهم على مجرد نطق المتكلم لكلمة ما؛ بل لابد من معرفة سياق الكلمة فى الجملة، ونفسية المتكلم والسامع، وظروف الحديث الاجتماعية. وهذا الفهم هو الدلالة المترسبة فى الذهن عند سماع الكلمة أو نطقها أو كتابتها، وتتنوع هذه الدلالة (meaning) إلى دلالة اجتماعية، وصرفية، ونحوية. (١)

وهناك أيضا دلالة لغوية ودلالة اصطلاحية لكثير من ألفاظ اللغة؛ فالدلالة اللغوية هي أصل وضع الكلمة، وتوجد في معاجم اللغة، والدلالة الاصطلاحية هى مايتفق عليها مجموعة معينة داخل إطار معين. وذلك كأن يصطلح أهل الفقه مثلا على إطلاق كلمة (الجامع) على ذلك المسجد الذى يجتمع الناس فيه للصلاة، وبخاصة صلاة الجمعة، ويصطلح أهل المنطق علي إطلاق الكلمة نفسها (الجامع) علي الشئ الذى يجمع كل أفراد جنسه تحته. ويصطلح أهل الثقافة على إطلاق الكلمة ذاتها (الجامعة) على ذلك المكان العلمى الذى يجمع بعض المعاهد والكليات؛ بأساتذتها، وطلابها، وإدارييها، ومبانيها.

أما المعنى اللغوى لتلك الكلمة (جمع)، فهو ضم وإحصاء أجزاء متفرقة في نطاق واحد (٢).

من هنا كان لزاما على البحث أن يحدد مصطلحاته قبل البحث فيها. وهذه المصطلحات ـ كما يفهم من عناوين الكتب التى تحدثت عن هذا الموضوع ـ هى:

أ ـ الوقف.

ب ـ الابتداء.

جـ ـ القطع.

د ـ الائتناف.

هـ ـ الموصول.

---

(١) انظر: دلالة الألفاظ ٤٥ ـ ٤٩

(٢) انظر: لسان العرب (جمع) ٦٧٨/١

الدلالة اللغوية لهذه الكلمات

أ ـ الوقف:

الوقوف ضد الجلوس، الوقف مصدر وقفت الدابة، كلمتهم ثم أوقفت أى سكت، وكل شئ تمسك عنه تقول أوقفت [١].

ب ـ الابتداء:

البدء فعل الشئ أول، بدأ به وبدأه يبدؤه بدءا وأبدأه وابتدأه [٢].

جـ ـ القطع.

القطع إبانة بعض أجزاء الجرم من بعض فصلا، وكلام قاطع نافذ، ومقطع كل شئ ومنقطعه آخره [٣] .

د ـ الائتناف:

الأنف المنخر ـ معروف، والأنف: التعب الذلول، والتأنيف تحديد طرف الشئ، وأنف كل شئ طرفه وأوله. واستأنف الشئ وأتنفه أخذ أوله وابتدأه. [٤]

هـ ـ الموصول:

وصلت الشئ وصلا وصلة، والوصل ضد الهجران، الوصل خلاف الفصل، واتصل الشئ بالشئ لم ينقطع [٥].

من هنا نرى أن الدلالة اللغوية لكلمتى القطع والوقف تكاد تكون واحدة، فهى تعنى الفصل والسكوت والانتهاء.

كما أن الدلالة اللغوية أيضا لكلمات الوصل والائتناف والابتداء تكاد تقترب لتوحى بالبدء والاتصال والاستمرار.

(١) انظر: المرجع السابق (وقف) ٦/ ٤٨٩٨

(٢) انظر: المرجع نفسه (بدأ) ١/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤

(٣) انظر: المرجع نفسه (قطع) ٥/ ٣٦٧٤ ـ ٣٦٧٧

(٤) انظر: المرجع نفسه (أنف) ١/ ١٥١ ـ ١٥٢

(٥) انظر: المرجع نفسه (وصل) ٦/ ٤٨٥٠ ـ ٤٨٥٣

الدلالة الاصطلاحية لهذه الكلمات

يحدثنا عنها اللغويون القدماء الذين تعرضوا لهذا الموضوع سواء بالدرس أم التأريخ.

فالقسطلانى يقول: «أما الوقف فقال أبو حيان فى شرح التسهيل: هو قطع النطق عن آخر الكلمة، وهو مجاز من قطع السير، وكأن لسانه عامل فى الحروف، ثم قطع عمله فيها. قال ابن الدمامينى: وهو أحسن من قول ابن الحاجب: قطع الكلمة عما بعدها. وقال الجعبرى: قطع صوت القارئ على آخر الكلمة الوضعية زمانا»[(١)].

وهو بذلك يتعرض للمعنى اللغوى موازنا بينه وبين المعنى الاصطلاحى، ويرجح بعض التعريفات على بعضها الآخر. وذلك هو مافعله الأشمونى حين قال إن الوقف «معناه الكف عن الفعل والقول، واصطلاحا: قطع الصوت آخر الكلمة زمنا ما، أو هو قطع الكلمة عما بعدها، والوقف والقطع والسكت بمعنى. وقيل القطع عبارة عن قطع القراءة رأسا، والسكت عبارة عن قطع الصوت زمنا ما دون زمن الوقف عادة من غير تنفس»[(٢)].

على حين يرى أبو يحيى الأنصارى أن «الوقف يطلق على معنيين؛ أحدهما القطع الذى يسكت القارئ عنده، وثانيهما المواضع التى نص عليها القراء»[(٣)].

ويقول السيوطى عنه:

«أفرده بالتصنيف خلائق منهم أبو جعفر النحاس، وابن الأنبارى، والزجاجى، والدانى، والعمانى، والسجاوندى، وغيرهم. وهو فن جليل به يعرف

---

(١) لطائف الإشارات ١/ ٢٤٧

(٢) منار الهدى ٨

(٣) المقصد ٤.

كيف أداء القراءة» [١] .

وهذا القول ليس تعريفاً للوقف أو وصفا؛ بل هو سرد لمن ألف فيه من القدماء.

والملاحظ هنا أنهم قد عرفوا الوقف والقطع، دون أن يعرفوا الوصل والائتناف والابتداء. وكأنى بهم رأوا أن تعريف أحد المتضادين يغنى عن الآخر؛ أى إن تعريف الوصل والائتناف والابتداء تعريف سلبى، تماما كما فعل النحاة العرب فى تعريفهم الاسم والفعل والحرف، حيث لم يأتوا بعلامات الحرف أو تعريف له سوى أنه لايقبل علامات الاسم أو الفعل [٢]. وهو مايعرف فى علم اللغة الحديث من أن ترك العلامة علامة فى حد ذاته.

وقد رأيت أن هؤلاء اللغويين قد ذكروا الوصل مقترنا بـ (القطع)، دون أن يذكروا (الفصل)، مع أن الوصل مضاد للفصل [٣] . رغم اقتراب دلالة (الفصل اللغوية، بدلالة (القطع) و(الوقف). فقد جاء فى لسان العرب:

«الفصل بون مابين الشيئين، وبين كل فصلين وصل، الفصل الحاجز بين الشيئين. وفصلت الشئ فانفصل أى قطعته فانقطع» [٤] .

من هنا يمكننا أن نقول إن الفصل هو الوقوف على جملة معينة أو تركيب معين؛ ينتهى عند أحد منهما المعنى.

أما الوصل فهو قراءة الجمل أو التراكيب ووصلها معا؛ كى ينشأ معنى جديد مخالف للمعنى الذى وقفنا عنده؛ أو مكمل له.

(١) الإتقان فى علوم القرآن ١/ ٨٣

(٢) انظر: الكتاب ١/ ١٢ وشرح المفصل ٢١٨

وشرح السيوطى ١/ ١٨ وقطر الندى ٣٦، ٣٧ وتهذيب الترضيح ١/ ١٧

(٣) يذكر للسيوطى أنه عقد بابا فى كتابه الإتقان فى علوم القرآن، تحت عنوان (بيان الموصول لفظا المفصول معنى).

وجعله أصلا كبيرا في الوقف، وتكلم فيه عن الوصل فى بعض الآيات، مع وجوب الفصل مراعاة للمعنى. انظر: الإتقان ١ ـ ٩٠ ـ ٩١

(٤) لسان العرب (فصل) ٥/ ٣٤٢٢ ـ ٣٤٢٤

الوقف في غير القرآن الكريم

لاتتوقف دلالة الوقف على قطع القراءة فترة زمنية معينة: أثناء قراءة القرآن الكريم، بل تتعدى إلى غير ذلك؛ حسب العلم الذى يستخدمها.

١ - في الفقه:

الوقف هو منع التصرف فى رقبة العين التي يمكن الانتفاع بها، مع بقاء عينها، وجعل المنفعة لجهة من جهات الخير ابتداء وانتهاء [١].

٢ - في النحو:

هو السكون [٢].

وله معنى آخر يقترب من المعنى اللغوى؛ ومعناه فى كتب الوقف والابتداء؛ وهو عدم وصل الكلام بعضه ببعض، بأن يقف المتكلم علي آخر الكلمة، وهناك طرق متعددة لذلك منها؛ الروم والإشمام والإبدال والتضعيف ونقل الحركة وهاء السكت وزيادة ألف [٣].

٣ - في العروض:

هو إسكان السابع المتحرك، ويدخل بحر السريع والمنسرح فتصير (مفعولاتُ) إلى (مفعولاتْ) بسكون التاء، وتنقل إلى (مفعولانْ)، وهو من علل النقص [٤].

٤ - في التصوف:

الوقفة هى التوقف بين المقامين لقضاء مابقي عليه من حقوق الأول، والتهيؤ لما يرتقى إليه بآداب الثانى، والوقوف الصادق هو الوقوف مع مراد

(١) محاضرات فى الوقف ٧

(٢) معجم مصطلحات النحو والصرف٣٠٩ والإيضاح في علل النحو ٦٧ والكتاب ١/ ١٣، ١٧

(٣) معجم مصطلحات النحو والصرف ٣١.

(٤) المرجع نفسه ٣١.

الحق [(١)].

وهناك كلمتان تؤديان معنى الوقف؛ مع اختلاف يسير؛ وهما :

أ ـ القطع.

ب ـ السكت.

فالقطع هو التوقف عن القراءة، وعدم الرجوع إليها مباشرة، في حينها، بل بعد فترة زمنية معينة قد تطول؛ ليبدأ قراءة جديدة ببسملة جديدة. ولايكون القطع إلا على رؤس الآيات.

والسكت هو التوقف عن القراءة فترة بسيطة جدا؟ مع عدم التنفس في تلك الفترة، والعودة بعد ذلك مباشرة للقراءة. وهذه الفترة لاتطول إلا بمقدار ثوان معدودة [(٢)].

و كثيرا ما يكون هذا السكت قبل الهمزة الساكن ماقبلها، أو الممدود ماقبلها، مثل قوله تعالى:

«إنما.. أمره.. إذا .. أراد شيء.. ئا .. أن يقول له كن فيكون» [(٣)].

فالقارئ هنا يمكنه السكت دون تنفس قبل هذه الهمزات الساكن أو الممدود ماقبلها، كما هو موضح بتلك النقط السابقة.

وسبب هذا السكت هو صعوبة نطق الهمزة؛ إذ إنها فونيم حنجرى يتطلب جهدا في النطق [(٤)]، فيستريح القارئ قبل نطقه؛ ليأتى من مخرجه بدقة.

---

(١) اصطلاحات الصوفية ٧٥

(٢) في تعريف القطع والسكت انظر: النشر في القراءات العشر ١/ ٢٣٨ ـ ٢٤٣ والإتقان في علوم القرآن ١/ ٨٧، ٨٨

(٣) سورة يس ٣٦/ ٨٢

(٤) انظر: الأصوات اللغوية ٨٩ ـ ٩١

الفصل الثانى

تاريخ الوقف والابتداء

في عهد رسول الله

نزل القرآن الكريم من الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم؛ على مدى ثلاث وعشرين سنة؛ متفرقا حسب الأحداث والمواقف والظروف التى تعرض لها المسلمون الأولون، سواء مع أنفسهم، أم مع من عايشهم من أهل الكتاب والكفار والمشركين والمنافقين.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقرئ صحابته القرآن الكريم. ويعلمهم إياه؛ مفسرا لهم مايحتاجون إليه من ألفاظ ومعان.

وفى ذلك يقول عبد الله بن عمر؛ رضى الله عنهما:

«لقد عشنا برهة من دهرنا، وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد صلي الله عليه وسلم، فنتعلم حلالها وحرامها وماينبغى أن يوقف عنده منها، كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن. ولقد رأيت اليوم رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ مابين فاتحته إلى خاتمته مايدرى ماآمره ولازاجره، ولاماينبغى أن يوقف عنده منه»[١].

وهذا التعلم جاء من الرسول الكريم؛ حيث ورد: «عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها: أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية، يقول:

(بسم الله الرحمن الرحيم) ثم يقف، ثم يقول: (الحمد لله رب العالمين) ثم يقف، ثم يقول : (الرحمن الرحيم)»[٢].

---

١) القطع والائتناف ١/ ١٥ والنشر في القراءات العشر ١/ ٢٢٥ والإتقان ١/ ٨٣ والبرهان فى علوم القرآن ٣٤٢/١

٢) صحيح الترمذى (باب فضائل القرآن) عارضة الأحوزى بشرح صحيح مسلم ١١/ ٤٣، ٤٨، ٤٩ والنشر ١١/ ٢٢٦ والتسهيل ١/ ١٢ والإتقان ١/ ٨٧ والمصاحف ٩٤ وجمال القراء وكمال الإقراء ٥٤٩/٢ والبرهان في علوم القرآن ١/ ٩٨، ٤٦٨

أى إنه صلى الله عليه وسلم كان يقف بعد كل آية. وقد علمهم ذلك لأنه «لما لم يمكن للقارئ أن يقرأ السورة أو القصة فى نفس واحد، ولم يجز التنفس بين كلمتين حالة الوصل، بل ذلك كالتنفس فى أثناء الكلمة، وجب حينئذ اختيار وقف [١] للتنفس والاستراحة، وتعين ارتضاء ابتداء بعده. ويتحتم أن لايكون ذلك مما يحيل المعنى، ولايخل بالفهم. إذ بذلك يظهر الإعجاز ويحصل القصد» [٢].

وليس من اللازم أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علم صحابته رضى الله عنهم مواضع الفصل والوصل فى القرآن الكريم كله، بل إنه أعطاهم إطارا نظريا؛ هو عدم ختم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب. يدلنا على ذلك الحديث التالى:

«عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ولاحرج، ولكن لاتختموا ذكر رحمة بعذاب ولاذكر عذاب برحمة» [٣].

كما وردت بعض الآثار التى تدل على اعتناء الرسول صلى الله عليه وسلم بالوقف فى الكلام العادى؛ وذلك مراعاة للمعنى.

«فعن عدى بن حاتم الطائى قال :

جاء رجلان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتشهد أحدهما فقال: من يطع الله (جل وعز) ورسوله صلى الله عليه وسلم فقد رشد ومن يعصهما. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بئس الخطيب أنت قم، كان ينبغى أن تصل كلامك: ومن يعصهما فقد غوى. أو تقف على (رسوله فقد رشد)» [٤].

(١) هذه الكلمة فى النشر في القراءات (وقف)، ونقلها عنه السيوطى فى الإتقان (وقفة).

(٢) النشر فى القراءات ١/ ٢٢٤، ٢٢٥ والإتقان ١/ ٨٣

(٣) تفسير الطبري ١/ ١٩ والقطع والائتناف ١/ ١٧ وسنن أبى داود ٢/ ١٦٠.

(٤) القطع والائتناف ١/ ١٦ ومنار الهدى ٤ والبرهان فى علوم القرآن ١/ ٣٤٣

من هنا نجد أن موضوع الفصل والوصل قد أثير فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد صحح للصحابة ماكانوا يخطئون فيه. ثم أرسى لهم قاعدة هى عدم ختم آية رحمة بآية عذاب، أو العكس والوقف على رؤس الآيات مطلقاً.[1] وظل الصحابة على ذلك حينا.

(١) انظر إتحاف فضلاء البشر ٣٥٧/١ وجمال القراء وكمال الإقراء ٥٤٩/٢

في عهد الصحابة والتابعين

بعد تلقى الصحابة - رضي الله عنهم - القرآن الكريم؛ مشافهة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، استطاعوا أن يعرفوا بعض المواضع التى يوقف عندها لينفصل المعنى ويؤدى فى صورة معينة. كما عرفوا بعض المواضع الأخرى التى لايمكن الفصل عندها؛ بل لابد من وصل الجملة بما بعدها؛ ليتم أداء معنى معين حسب السياق.

ومن ذلك مارواه ابن عمر، فى حديثه السابق، من أنهم كانوا يؤتون الإيمان قبل القرآن.

كما وردت بعض الآثار التى تدل على اشتغالهم بالفصل فى مواضع معينة؛ حتى يتسنى أداء معنى محدد مفهوم. فقد روى عن ميمون بن مهران[(١)] وعمر بن عبد العزيز أنهما أنكرا الوقف على قوله تعالى: (إنما نحن مصلحون) على أن يبتدئ: (ألا إنهم هم المفسدون)[(٢)].

حتى لاتكون جملة (إنما نحن مصلحون) في حق الكافرين دون الاستدراك عليهم ونقض كلامهم (ألا إنهم هم المفسدون). ولذلك لم يفصلا عند الجملة الأولى، بل وصلا الجملتين لاكتمال المعنى، ووضع هذه الجملة فى سياقها الكلى؛ حتى لاتكون بمعزل عنه.

وروى «عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه فى قوله تعالى (ولولا

---

(١) هو أبو أيوب الرقى ميمون بن مهران الجزرى (ت ١١٧هـ).
انظر: طبقات الحفاظ ٣٩، ٤٠ وشذرات الذهب ١/ ١٥٤ وطبقات ابن سعد ١٧٧/٢/٧

(٢) انظر: القطع والائتناف ١/ ١٩
والجملتان جزء من آيتين في سورة البقرة، هما:
(وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون. ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون). آيتى ١١، ١٢

فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان) [١] .

قال: فانقطع الكلام» [٢] .

أى إنه لم يعتد بالاستثناء، وهو قوله تعالى (إلا قليلا). مع أن أداة الاستثناء (إلا) تربط أسلوب الاستثناء فتخرج مابعدها مما دخل فيه ماقبلها.

وإذا جئنا إلى أبى البقاء العكبرى (ت ٦١٦هـ) لوجدناه يعرض ثلاثة آراء فى هذا الاستثناء:

أ ـ الاستثناء من فاعل (اتبعتم)، أى (لاتبعتم الشيطان إلا قليلا).

ب ـ الاستثناء من فاعل (أذاعوا)، أى (أظهروا ذلك الأمر أو الخوف إلا القليل منهم).

جـ ـ الاستثناء من فاعل (لوجدوا)، أى (لوجدوا فيه اختلافا كثيرا إلا القليل منهم) [٣] .

وعلى ذلك يكون تخريج ابن عباس مقتربا من الرأيين الأخيرين؛ مبتعدا عن الرأى الأول. وبذلك يصير أسلوب الشرط تاما دون استثناء منه.

وعن قتادة [٤] أنه فى قوله تعالى (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا. قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه) [٥] .

قال: أنزل الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا. ويستدل النحاس من ذلك على

---

(١) بقية الجملة هو قوله تعالى:
(لا تبعتم الشيطان إلا قليلا).
من سورة النساء ٨٣/٣

(٢) القطع والائتناف ١/ ١٨ والبرهان في علوم القرآن ١/ ٣٤٢

(٣) انظر: إملاء مامن به الرحمن ١/ ١٨٨

(٤) هو قتادة بن دعامة السدوسى، من التابعين، وكان ذا علم في القرآن والحديث والفقه، وكان أكمه ومات بالبصرة (١١٧هـ). انظر: إملاء ما من بـه الرحمن ٢/ ٩٨ وطبقات ابن سعد ٧/١-٣ ومعجم الأدباء ١٧/٩-١٠ وطبقات المفسرين ٢/٤٣، ٤٤

(٥) من سورة الكهف ١٨/ ١، ٢.

أنه لايجب أن يقطع القارئ عند (عوجا)؛ لأن (قيما) راجع إلى ماقبله [١].

وهذا يدل على إعمال الفكر فى التركيب اللغوى للآية الكريمة، إذ إن الناصب فى (قيما) هو الحالية، وصاحب هذه الحال هو (الكتاب). ولذا لم يفرق بين الحال وصاحبها (أنزل الكتاب قيما).

وقد سئل على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ عن قول الله تعالى (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) [٢].

وقد رأينا الكافر يقتل المؤمن، فقال رضى الله عنه: اقرأ ماقبلها: (فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) [٣].

وهنا نجد مراعاة تامة للسياق، حيث تقدم المركب الظرفى (يوم القيامة) فعمل الظرفية فى الجملة الأولى الاسمية: (فالله يحكم بينكم يوم القيامة). ثم عطفت الجملة الثانية الفعلية عليها، فاشتركت فى الظرفية معها. (لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا يوم القيامة).

أما فهم السائل فهو قصر الظرفية على الجملة الأولى الاسمية، مع بقاء الفعل المضارع فى الجملة الثانية الفعلية دون تحديد زمنه.

هذا الربط بين الجملة وسياقها ليس ببعيد على رجل رأى أن قوله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) [٤] يراد به تجويد الحروف ومعرفة الوقف [٥].

---

(١) انظر: القطع والائتناف ١/ ١٨

(٢) من سورة النساء ٤/ ١٤١ وقبلها جملة: (فالله يحكم بينكم يوم القيامة).

(٣) انظر: القطع والائتناف ١/ ١٩

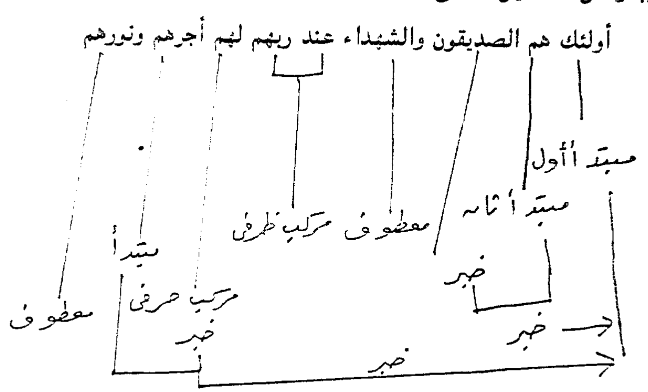
(٤) من سورة المزمل ٧٣/ ٤

(٥) انظر: الإتقان فى علوم القرآن ١/ ٨٣

وروى أيضا عن عمرو بن ميمون[١] ومجاهد[٢] - رضى الله عنهما أنهما قالا: كل مؤمن صديقٌ شهيدٌ، ثم قرآ قوله تعالى: (أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم)[٣].

فقد اعتبرا أن مورفيم الواو فى المركب العطفى (والشهداء) عاطف صفة (الصديقون) على صفة (الشهداء)، وليس عاطفا جملة (أولئك) على جملة (الشهداء).

وبذلك يكون المبتدأ الأول (أولئك) ذا خبرين كلاهما جملة اسمية؛ كما يبدو من التحليل التالى:



(١) هو أبوعبد الله عمرو بن ميمون الأودى الكوفى (ت ٧٤هـ).
انظر: طبقات الحفاظ ٢٤ وشذرات الذهب ١/ ٢١٦

(٢) هو مجاهد بن جبر القارئ، من كبار التابعين، أخذ القرآن عن عبدالله بن عباس، وعلى بن أبى طالب وأبى بن كعب رضى الله عنهم، وتوفى سنة ١٠٣ هـ انظر: شذرات الذهب ١/ ١٢٥ ، ومعجم الأدباء ١٧/ ٧٧-٧٨

(٣) من سورة الحديد ٥٧/ ١٩ وقبل هذه الجملة بدايتها وهى:
(والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم..).
القطع والائتناف ١/٨١

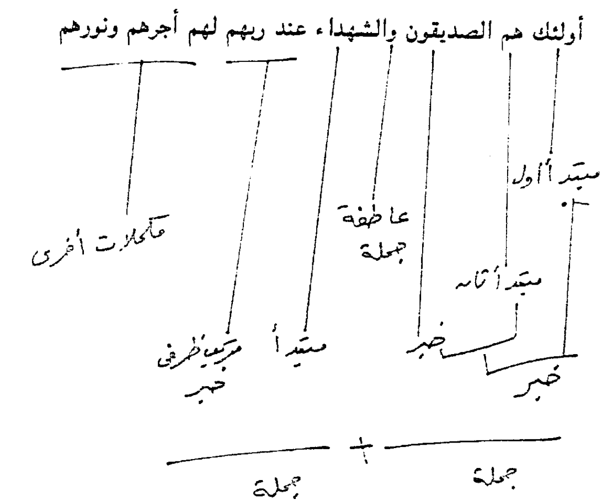
يظهر لنا التحليل الجملة بخبريها كما يلى:

أ ـ أولئك هم الصديقون والشهداء.

ب ـ أولئك لهم أجرهم ونورهم.

فقد فطن الرجلان إلى سياق الآية الكريمة، وعرفا أن هناك من يفصل الجملة عند كلمة (الصديقون)، ثم يبتدئ جملة اسمية جديدة مرتبطة بما قبلها بالعطف، هى:

(والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم). والتحليل التالى يوضح ذلك.



وبذا تتحول الجملة الواحدة إلى جملتين هما:

أ - أولئك هم الصديقون.

ب - الشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم. [١]

كما روي أيضا عن أبى عبد الرحمن السلمى [٢] أنه كان يستحب أن يقف عند قوله تعالى (قالو ياويلنا من بعثنا من مرقدنا)، ثم يبتدئ فيقول: (هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون) [٣].

وذلك لأن الجملة الأولى سؤال من الكافرين، والثانية جواب من الملائكة على هذا السؤال؛ كما علق النحاس عند إيراده هذا الخبر.

وقد جاء هذا الفصل على كلمة (مرقدنا)؛ لأنها انتهاء جملة مقول القول، ثم الابتداء بالمبتدأ (هذا) الذى هو أول جملة قالتها الملائكة.

ولما كان الصحابة والتابعون - رضى الله عنهم - يراعون المعنى، فقد روى عنهم أنهم كانوا يكرهون أن يقرأوا بعض الآيات ويدعوا بعضها، وذلك لعدم تجزئة السياق، وفصله إلى جزئيات صغيرة قد تغير المعنى أو تحدث لبسا فى فهمه.

من هنا لم يترددوا فى تطبيق هذا المبدأ على كلامهم اليومى - بعيدا عن القرآن الكريم - كما فى حديث «أبى بكر - رضى الله عنه - أنه قال لرجل معه ناقة: أتبيعها بكذا. فقال: لاعافاك الله. فقال: لاتقل هكذا، ولكن قل لا وعافك الله» [٤].

(١) هناك رأى ثالث قال به العكبرى، وهو أن الوقف على الشهداء، ثم يبتدئ (عند ربهم).
انظر: إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٦/ ١١٩ - ١٢١

(٢) هو عبد الله بن حبيب السلمى الكوفى القارئ، (ت ٩٢ هـ).
انظر طبقات الحفاظ ١٩، ٢٠ وطبقات ابن سعد ٦/١١٩، ١٢١

(٣) انظر: القطع والائتناف ١/ ١٩ والآية من سورة يس ٣٦/ ٥٢

(٤) القطع والائتناف ١/ ٢٠.

أى إنه خاف اللبس لوقوع النفى فى كلمة (لا) على جملة الدعاء الخبرية (عافاك الله)، فتتحول من الدعاء إلى المقت والبغض، ولذلك اقترح عليه الفصل بين النفى والدعاء بمورفيم الاستئناف (و).

وشبيه بذلك أيضا ما أورده النحاس؛ من أن ابراهيم النخعى[١] قد كره أن يقال: (لا والحمد لله)، ولم يكره (نعم والحمد لله) [٢]. وذلك لعدم اشتراك النفى مع الحمد بمورفيم العطف (و)، وهو ماتخالفه أداة الجواب (نعم) مع وجود العطف نفسه.

من كل ماسبق نجد بعض العلماء القدامى قد استدلوا على أن الوقف كان إجماعا من الصحابة [٣]، وهذا الإجماع كان نتيجة لإعمال عقولهم فى سياق الآيات وفهم معانيها، واعتمادهم على ذلك أكثر من النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) هو ابراهيم النخعى بن يزيد بن قيس بن الأسود أبو عمران، فقيه أهل الكوفة ومفتيها، (ت ٩٦هـ). انظر: طبقات الحفاظ ٢٩ وشذرات الذهب ١/١١١

(٢) انظر: القطع والائتناف ١/ ٢.

(٣) انظر: القطع والائتناف ١/ ١٥، ١٨ والنشر فى القراءات ١/ ٢٢٥ والإتقان فى علوم القرآن ١/ ٨٣

الفصل الثالث

كتب الوقف والابتداء

تختلف الكتب التى عالجت هذا الموضوع عن غيرها من الكتب التى تعرضت للتفسير أو القراءات. حيث نجد أن السياق stuation هو الذى يوجه المعنى، ومن ثم يلزم الفصل أو يجب أو يحسن أو يقبح. وكما ذكرنا فى المقدمة؛ فإن أصحاب هذه الكتب لم يذكروا كلمتى (الفصل والوصل) مجتمعتين هكذا في مركب عطفى؛ عنواناً لأى كتاب من كتبهم، بل ذكروا كلمات:

(الوقف - الابتداء - القطع - الائتناف - المقطوع - الموصول - المقاطع - المبادئ - الوقوف - الابتداء).

ونورد هنا تلك الكتب مصحوبة بأسماء مؤلفيها، مرتبين إياهم حسب سنى وفياتهم؛ بقدر ماتسعفنى المراجع.

١ - الوقف والابتداء، لهشام بن عبد الله [١].

٢ - الوقف والابتداء، للجعدى [٢].

٣ - وقف التمام، لأحمد بن عيسى اللؤلؤى [٣].

٤ - مقطوع القرآن وموصوله، لعبد الله بن عامر اليحصبى، (ت ١١٨هـ) [٤].

٥ - الوقف والابتداء، لضرار بن الصرد (ت ١٢٩ هـ) [٥].

٦ - الوقوف، لشيبة بن نصاح (ت ١٣٠هـ)[٦].

٧ - الوقف والابتداء، لأبى عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ)[٧].

---

(١) انظر: الفهرست ٥٤

(٢) انظر: المرجع نفـ

(٣) انظر: المرجع نفسه ٥٤

(٤) انظر: تاريخ التراث العربى ١/ ١٤٨ والفهرست ٥٥

(٥) انظر الفهرست ٥٤.

انظر: تاريخ التراث العربى ١/ ١٤٨

انظر: المرجع نفسه ١/ ١٤٨

٨ - الوقف والابتداء، لحمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦هـ)(١).

٩ - مقطوع القرآن وموصوله، للزيات أيضا(٢).

١٠ - الوقف والابتداء الكبير، لأبي جعفر الرؤاسي (ت ١٧٠ هـ)(٣).

١١ - الوقف والابتداء الصغير، للرؤاسي أيضا(٤).

١٢ - مقطوع القرآن وموصوله، لعلي بن حمزة الكسائي (ت ١٩٧ هـ)(٥).

١٣ - وقف التمام، لنافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (ت ١٩٩ هـ)(٦).

١٤ - الوقف والابتداء، ليحيى بن المبارك اليزيدي (ت ٢٠٢ هـ)(٧).

١٥ - وقف التمام، ليعقوب بن إسحاق الحضرمي (ت ٢٠٥ هـ)(٨).

١٦ - الوقف والابتداء، ليحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ)(٩).

١٧ - حد الابتداء والقطع، وهو فصل من كتاب أسماء الحدود للفراء أيضا(١٠).

١٨ - وقف التمام، للأخفش الأوسط أبو الحسن بن مسعدة (ت ٢١٥)(١١).

١٩ - الأوقاف، للأصمعي عبد الملك بن قريب (ت ٢١٥ هـ)(١٢).

٢٠ - الوقف والابتداء، لخلف بن هشام (ت ٢٢٩ هـ)(١٣).

---

(١) انظر: الفهرست ٥٤

(٢) انظر: المرجع نفسه ٦٥

(٣) انظر: المرجع نفسه ٩٦ ومعجم الأدباء ١٨/ ١٢٥ وطبقات المفسرين ٢/١٣١

(٤) انظر: الفهرست ٩٦ ومعجم الأدباء ١٨/ ١٢٥ مطبقات المفسرين ٢/ ١٣١

(٥) انظر: الفهرست ٩٧، ٩٨ ومعجم الأدباء ١٣/ ٢٠٣ وطبقات المفسرين ١/ ٤٠٢

(٦) انظر: الفهرست ٥٤

(٧) انظر: معجم الأدباء ٢٠/٣١ ٢٠/ ٣١

(٨) انظر: المرجع نفسه ٢٠/ ٥٣ والفهرست ٥٤ ٢٠/ ٥٣

(٩) انظر: الفهرست ٥٤ ومعجم الأدباء ٢٠/١٤

(١٠) انظر: الفهرست ١٠٠

(١١) انظر: الفهرست ١٠٠

(١٢) انظر: الفهرست ١٠٠ ولاحظ أن أحد الباحثين قد أرخ للأصمعي ولكنه لم يذكر له هذا الكتاب انظر: الأصمعي اللغوي ١٠٨، ١٠٩

(١٣) انظر: الفهرست ٨٢

٢١ ـ الوقف والابتداء، لمحمد بن سعدان (ت ٢٣١ هـ)[١].

٢٢ ـ وقف التمام، لأبى الحسن روح بن عبد المؤمن الهزلى (ت ٢٣٥ هـ)[٢].

٢٣ ـ الوقف والابتداء، لأبى عبد الرحمن اليزيدى (ت ٢٣٧ هـ)[٣].

٢٤ ـ الوقف والابتداء، لحفص بن عمر الدورى (ت ٢٤٦ هـ)[٤].

٢٥ ـ وقف التمام، لنصر بن على (ت ٢٥٠ هـ)[٥].

٢٦ ـ المقاطع والمبادئ، لأبى حاتم السجستانى (ت ٢٥٥ هـ)[٦].

٢٧ ـ الوقف والابتداء، لأحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١ هـ)[٧].

٢٨ ـ الوقف والابتداء، لسليمان بن يحيى الضبى (ت ٢٩١ هـ)[٨].

٢٩ ـ الوقف والابتداء، لمحمد بن أحمد بن كيسان (ت ٢٩٩ هـ)[٩].

٣٠ ـ الوقف والابتداء، لأبى إسحاق الزجاج (ت ٣١١ هـ)[١٠].

٣١ ـ إيضاح الوقف والابتداء، لأبى بكر بن الأنبارى (ت ٣٢٨ هـ)[١١].

٣٢ ـ الوقف والابتداء، لمحمد بن محمد بن عباد المالكى (ت ٣٣٤ هـ)[١٢].

٣٣ ـ القطع والائتناف، لأبى جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ)[١٣].

---

(١) انظر: المرجع نفسه ٥٤

(٢) انظر: الفهرست ٥٤

(٣) انظر: إنباه الرواة ١٥١/٢ والفهرست ٥٤.

(٤) انظر: الفهرست ٥٤

(٥) انظر: المرجع نفسه ٥٤

(٦) انظر: إنباه الرواة ٦٢/٢ والفهرست ٨٦، ٨٧

(٧) انظر: الفهرست ١١٠، ١١١ وطبقات المفسرين ٩٧/١ ومعجم الأدباء ١٤٣/٥

(٨) انظر: الفهرست ٥٤

(٩) انظر: معجم الأدباء ١٣٩/١٧، ١٣٩/١٧ والفهرست ٥٤ ١٣٩/١٧

(١٠) نظر: البرهان فى علوم القرآن ٣٤٢/١

(١١) انظر: الفهرست ١١٢ وطبقات المفسرين ٢/ ٢٢٦ ومعجم الأدباء ١٧/ ١٢

(١٢) انظر: معجم الأدباء ١٩/ ٢٨ والبرهان فى علوم القرآن ٣٤٢/١

(١٣) وهو رسالة دكتوراه مخطوطة بآداب القاهرة ١٩٧٦م

٣٤ ـ الوقوف، لأحمد بن كامل البغدادى (ت ٣٥٠ هـ)[١].

٣٥ ـ الوقف والابتداء، لمحمد بن الحسن العطار (ت ٣٥٤ هـ)[٢].

٣٦ ـ الوقف والابتداء، لأبى بكر محمد بن الحسن بن مقسم (ت ٣٦٢ هـ)[٣].

٣٧ ـ الوقف والابتداء، لأبى سعيد السيرافى (ت ٣٦٨ هـ)[٤].

٣٨ ـ الوقف والابتداء، لأبى الفتح عثمان بن جنى (ت ٣٩٢ هـ)[٥].

٣٩ ـ الوقف والابتداء، لمكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧ هـ)[٦].

٤٠ ـ المكتفى فى معرفة الوقف التام والوقف الكافى والحسن؛ لأبى عمرو الدانى (ت ٤٤٤هـ)[٧].

٤١ ـ الوقف والابتداء، لأبى عمرو الدانى أيضا[٨].

٤٢ ـ الوقف والابتداء، لمحمد بن طيفور السجاوندى، من علماء القرن السادس الهجرى[٩].

٤٣ ـ الوقف والابتداء، لمحمد بن يزيد بن طيفور السجاوندى[١٠].

---

(١) انظر: الفهرست ٤٨ وطبقات المفسرين ١/ ٦٥ ومعجم الأدباء ٤/ ١٠٥.

(٢) انظر: معجم الأدباء ١٨/ ١٥٣

(٣) انظر: الفهرست ٥٠ وطبقات المفسرين ٢/ ١٢٨

(٤) انظر: الفهرست ٩٣

(٥) انظر: المرجع نفسه ١٢٨

(٦) انظر: طبقات المفسرين ٢/ ٣٣٨

(٧) وهو مخطوط فى مكتبه بلدية الاسكندرية برقم (١٢١١ب) والمكتبة الأحمدية بحلب، برقم (١٣٩)، ودار الكتب برقم (٨٣، ٢٢) تيمور، وانظر: الإتقاق فى علوم القرآن ١/ ٧

(٨) انظر: طبقات المفسرين ١/ ٣٧٥ والإتقان فى علوم القرآن ١/ ٧

(٩) وهو مخطوط عام ٨٨٣ هـ، فى مكتبة بلدية الإسكندرية، برقم (٣٠٠٢ د) ومكتبة الأزهر، برقم (١٦٤).

(١٠) انظر: طبقات المفسرين ٢/ ٢٧١
ولم يعرف له تاريخ ميلاد أو وفاة ـ شأنه شأن شبيهه محمد بن طيفور، ولولا أن شمس الدين الداودى صاحب طبقات المفسرين قال فى آخر ترجمته (مات (تخمينا) سنة ٤٦ سنة وأربعين»، لظننت أنه هو ابن طيفور السابق ذكره. ورغم ذلك، فقد أرخ الداودى لهما وقد أخطأ، وتابعه المحقق فى خطئة ـ حينما ضمن أنه توفى سنة ست وأربعين، مع أنه أورد عن شبيهه ابن طيفور: . وقال: كان فى وسط المائة السادسة».
انظر: طبقات المفسرين ٢/ ١٥٥، ٢٧١ والإتقان فى علوم القرآن ١/ ٧

٤٤ ـ المرشد، لأبى محمد الحسن العمانى، من علماء القرن السادس الهجرى[١].

٤٥ ـ الاقتداء فى معرفة الوقف والابتداء، لمحمد بن عبدالله النكزاوى[٢].

٤٦ ـ الوقف والا بتداء، وهو فصل من فصول كتاب د جمال القراء وكمال الإقراء» لأبى الحسن علم الدين السخاوى (ت ٦٤٣ هـ)[٣].

٤٧ ـ الوقف والابتداء، وهو جزء من إحدى مقدمتين فى كتاب (التسهيل لعلوم التنزيل)، لأبى القاسم بن جزى الكلبى الغرناطى (ت ٧٤١ هـ)[٤].

٤٨ ـ معرفة الوقف والابتداء، وهو فصل من كتاب (البرهان فى علوم القرآن)، لبدر الدين الزركشى (ت ٧٩٤ هـ)[٥].

٤٩ ـ مواقع العلوم من مواقع النجوم، لجلال الدين البلقينى (ت ٨٢٤ هـ)، وبه فصل عن الوقف والا بتداء[٦].

٥٠ ـ الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء، لأبى الخير بن الجزرى (ت ٨٣٣ هـ)[٧].

٥١ ـ الوقوف والابتداء، وهو فصل من فصول كتاب (النشر فى القراءات العشر) لأبى الخير بن الجزرى[٨].

٥٢ ـ الإسعاف فى معرفة فى معرفة القطع والاستئناف، لبرهان الدين الكركى الشافعى (ت ٨٥٣ هـ)[٩].

---

(١) انظر: البرهان فى علوم القرآن ١/ ٣٤٢، وقد ذكره صاحب المقصد، عند ماخصه، انظر رقم (٥٨)،فى تلك القائمة.

(٢) مخطوط فى المكتبة الأزهرية برقم ١٢٢

(٣) انظر: البرهان فى علوم القرآن ١/ ١٣، ١٣١

(٤) انظر: المرجع نفسه ١/

(٥) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ١٢، ١٣

(٦) انظر: البرهان فى علوم القرآن ١/٣٣٩ ـ ٣٧٥

(٧) انظر: الإتقان فى علوم القرآن ١/ ٣

(٨) انظر: النشر فى القراءات العشر ١/ ٢٢٤

(٩) انظر: المرجع نفسه ١/ ٢٢٤ ـ ٣٤٣

٥٣ - لحظة الطرف فى معرفة الوقف، لبرهان الدين الكركى الشافعى[١].

٥٤ - الوقف والابتداء، لأبى الحسن على بن أحمد الغزال، من علماء القرن التاسع الهجرى[٢].

٥٥ - معرفة الوقف والابتداء، وهو فصل من فصول كتاب (الإتقان فى علوم القرآن)، لجلال الدين السيوطى (ت ٩١١ هـ)[٣].

٥٦ - الوقف والا بتداء، وهو فصل من فصول كتاب (التحبير فى علوم التفسير)، لجلال الدين السيوطى[٤].

٥٧ - المقصد لتخليص مافى المرشد، لأبى يحيى زكريا الأنصارى (ت ٩٢٦ هـ)[٥].

٥٨ - منار الهدى فى بيان الوقف والابتداء لأحمد بن عبد الكريم الأشمونى، من علماء القرن الحادى عشر الهجرى[٦].

٥٩ - منازل القرآن فى الوقوف، مجهول المؤلف[٧].

٦٠ - مقدمة فى وقوف القرآن، مجهول المؤلف[٨].

هذه هى الكتب والمؤلفات التى تناولت هذا الموضوع، منذ القرن الثانى الهجرى؛ حيث ألف عبد الله بن عامر (ت ١١٨ هـ) كتابه. وانتهاء بالقرن الثالث الهجرى، حيث وردت تلك المخطوطة التى لم تعلم كاتبها فى عام ١٢٨٥ هـ.

ومن خلال العرض السابق لهذه المؤلفات نجد أنها تنقسم إلى قسمين هما:

---

(١) انظر: طبقات المفسرين ١/ ٢٣

(٢) انظر: طبقات المفسرين ٢٣/١.

(٣) وهو مخطوط كتب عام ٨٥٢هـ، فى المكتبة الأحمدية بحلب تحت رقم ١٤٧

(٤) انظر: المرجع نفسه ٤/١

(٥) وهو مطبوع فى بولاق سنة ١٢٨١ هـ، انظر كتاب رقم (٤٤) فى هذه القائمة.

(٦) وهو مطبوع فى بولاق سنة ١٢٨٦هـ.

(٧) وهو مخطوط فى مكتبه بلدية الاسكندرية، برقم ١٠١٢د، وهو مكتوب عام ١١٨٥ هـ.

(٨) وهو مخطوط فى مكتبه بلدية الاسكندرية، برقم ١٧٥٨د، وهو مكتوب عام ١٢٨٥ هـ .

١ - كتب مستقلة.

٢ - فصول أو أجزاء داخل كتب تفسير أو علوم قرآن، أو قراءات.

فأما الفصول أو الأجزاء التى احتوتها كتب أخرى فهى:

أ - ماورد فى كتب التفسير:

الوقف والابتداء، فى كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى.

ب - ماورد فى كتب علوم القرآن:

معرفة الوقف والابتداء، فى كتاب الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى.

جـ - ماورد فى كتب القراءات:

الوقوف والابتداء، فى كتاب النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى.

ويغلب على ظنى أن ماورد اسمه عن الفراء فى كتاب أسماء الحدود، إنما هو كتاب فى علوم القرآن، على الرغم من أن الكتاب أو الفصل الذى كتب فيه لم يصلا إلينا.

وأما الكتب المستقلة فهى بقية ماورد من مسميات فى تلك القائمة السابقة.

نلاحظ أيضا أن معظم مؤلفى هذه الكتب من اللغويين[1] وقليل منهم من علماء القرآن الكريم، كما أن بعضهم مجهول؛ لم يعرف إلا من خلال إشارات بسيطة فى كتب التراجم أو الرجال أو الطبقات.

فمن اللغويين نجد.

١ - أبو عمرو بن العلاء.

٢ - حمزة الزيات.

٣ - أبو جعفر الرؤاسى.

٤ - الكسائى.

(١) أطلقت كلمة (اللغويين) هنا لتشمل النحاة؛ إذ إن النحو أحد فروع علم اللغة.

٥ - يعقوب الحضرمي.

٦ - الفراء .

٧ - الأصمعي.

٨ - الأخفش الأوسط.

٩ - أبو حاتم السجستاني.

١٠ - ثعلب.

١١ - ابن كيسان.

١٢ - الزجاج.

١٣ - أبو بكر الأنباري.

١٤ - أبو جعفر النحاس.

١٥ - ابن جني.

١٦ - السيوطي.

١٧ - الأشموني.

ومن علماء القرآن وقراءاته:

١ - عبدالله بن عامر.

٢ - نافع بن عبد الرحمن.

٣ - حفص بن عمر الدوري.

٤ - أبو عمرو الداني.

٥ - ابن جزي الكلبي.

٦ - ابن الجزري.

٧ - السيوطي.

الفصل الرابع

أنواع الوقف من وجهة نظر المؤلفين فيه

إنه «لما لم يمكن للقارئ أن يقرأ السورة أو القصة فى نفس واحد، ولم يجز التنفس بين كلمتين حالة الوصل، بل ذلك كالتنفس فى أثناء الكلمة وجب حينئذ اختيار وقف للتنفس والاستراحة، وتحتم أن لا يكون ذلك مما يحيل المعنى، ولا يخل بالفهم. إذ بذلك يظهر الإعجاز ويحصل القصد، ولذلك حض الأئمة على تعلمه ومعرفته» (١).

ولهذا فقد اهتم العلماء بذلك الموضوع، واستطاعوا أن يبينوا مواضع الفصل والوصل، واصطلحوا «على أن لأنواع الوقف والابتداء أسماء، واختلفوا فى ذلك» (٢).

ولبيان أنواع الوقف وأسماء هذه الأنواع عندهم، فسوف نعرض لبعض ما جاء عنهم فى ذلك، واصفين إياه معقبين عليه محللين عباراتهم فى ذلك، مرتبين أصحابها ترتيبا زمنيا.

وسأقتصر على ابن الأنبارى وأبى جعفر النحاس فى القرن الرابع الهجرى، وابن طيفور السجاوندى في القرن السادس الهجرى، وابن جزى الكلبى الغرناطى وبدر الدين الزركشى في القرن الثامن الهجرى، وأبى الخير بن الجزرى فى القرن التاسع الهجرى، وجلال الدين السيوطى في القرن العاشر الهجرى، والأشمونى فى القرن الحادى عشر الهجرى. ثم أحاول بعد ذلك استخلاص ما اتفقوا عليه، وتنقيح ما اختلفوا فيه.

---

(١) النشر فى القراءات العشر ١/ ٢٢٤، ٢٢٥ والإتقان في علوم القرآن ١/ ٨٣

(٢) النشر فى القراءات العشر ١/ ٢٢٥ والإتقان فى علوم القرآن ١/ ٨٣

١ ـ أبو بكر بن الأنبارى (ت٣٢٨هـ)

قسم ابن الأنبارى الوقف إلى ثلاثة أقسام هى:

١ ـ التام.

٢ ـ الحسن.

٣ ـ القبيح.

ثم فصل هذه الأقسام أو الأوجه ـ كما سماها ـ فقال:

«فالتام الذى يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، ولا يكون بعده ما يتعلق به» كقوله (تعالى): (وأولئك هم المفلحون)[(١)]

وقوله (تعالى): (أم لم تنذرهم لايؤمنون): [(٢)]

والحسن هو الذى يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده، كقوله تعالى: (الحمد لله)، لأن الابتداء ب (رب العالمين) [(٣)] لا يحسن لكونه صفة لما قبله.

والقبيح هو الذى ليس بتام ولا حسن، كالوقف على (بسم) من قوله تعالى: (بسم الله) [(٤)] » [(٥)]

هو يقصد بالتام ما يتم المعنى عنده، بحيث يمكن أن يقف القارئ، ثم يبدأ كلاما جديدا؛ له معنى جديد غير متعلق بما بعده، ويستشهد بأول سورة البقرة. فالوقف عند قوله سبحانه: (وأولئك هم المفلحون) فيه وصف للمتقين،

---

(١) من سورة البقرة ٢/ ٥

وتمام الآية: (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون).

(٢) من سورة البقرة ٦/٢

وتمام الآية: (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون).

(٣) من سورة الفاتحة ٢/١

والآية هى (الحمد لله رب العالمين).

(٤) من سورة الفاتحة ١/١ وهى آية البسملة.

(٥) الإتقان فى علوم القرآن ١/ ٨٤

أما البدء ب (إن الذين كفروا) فيتعرض لقضية أخرى، هى عناد الكافرين ومصيرهم. أى إن الآية الأولى تحدثت عن المتقين، والثانية عن الكافرين.[1]

و... وقف الحسن ذلك الذى لو وقف القارئ عنده لأعطى معنى معينا، له تعلق بما بعده يزيده توضيحا. ويمثل لذلك بمن يقف عند قوله تعالى (الحمد لله)، حيث نجد هنا معنى معينا، وهو إسناد الحمد لله سبحانه. والجملة بذلك اسمية، توافر فيها ركناها الأساسيان، المبتدأ و المركب الحرفى الذى جاء توزيعه الموقعى خبرا.

ولكن لو استأنف القارئ بعدها (رب العالمين)، لوجد مركبا إضافيا متعلقا بما قبله، هو لفظ الجلالة، وهذا التعلق تعلق وصفية. ولا يعطى هذا المركب معنى مستقلا بنفسه حالة وجود الجر فى (رب)، إلا إذا وصل بموصوفه السابق (الله)، وحينئذ يتضح المعنى الكلى للجملة:

(الحمد لله رب العالمين).

ثم يتعرض للقبيح فيرى أنه (الذى ليس بتام ولاحسن).

وهو تعريف سلبى، يذكرنا بتعريف النحاة العرب للحرف الذى هو ما ليس باسم ولا فعل.[2]

ويمثل لذلك بالوقف على (بسم) من قوله (بسم الله).

وهنا نجد أن (بسم الله) مركب إضافى، قد احتوي ركنه الأول على مركب حرفى، ولا يمكن فصل ركن عن الآخر، إذ إن المركب هو ما ركب طرفاه من كلمتين، بحيث تؤديان معا معنى معينا غير ما كان لأى منهما منفردا.[3]

---

(١) انظر: تفسير القرطبى ١ / ١٨٢ ـ ١٨٥

(٢) وهو ما يعرف فى علم اللغة الحديث بأن ترك العلامة علامة في حدذاته. انظر: دراسة صوتية فى لهجة الواحات الخارجة ٢٦٧

(٣) انظر: دور الكلمة في اللغة ١٢٦ والعربية الفصحى ١٨٣

ومن ثم فلا يمكن نطق (بسم) مفصولة عن لفظ الجلالة (الله)، بل لابد من وصل هذين الركنين لإعطاء المعنى المراد.

ومن الواضح أن ابن الأنبارى لم يغرقنا فى تعريفات منطقية، أو تعريفات فلسفية عن طريق اللعب بالألفاظ. بل جاء تعريفه لهذه الأقسام ميسرا، واستشهاده موفقا.

٣ ـ أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ)

اعتمد أبو جعفر النحاس على ابن الأنبارى ومن سبقه فى بيان أنواع الوقف. ومن ثم لم نجد عنده تقسيما للوقف، أو تعريفا لهذه الأقسام، بل قال:

«إن من الوقف ما هو واضح مفهوم معناه، ومنه مشكل لايدرى إلا بسماع وعلم بالتأويل، ومنه ما يعلمه أهل العربية واللغة، فيدرى أين يقطع وكيف يأتنف» (١) .

فهو هنا لم يقسم الوقف، بل وصف أنواعه دون تسميتها.

ورأى أن هناك:

١ ـ واضح مفهوم معناه.

٢ ـ مشكل لا يدرى إلا بسماع وعلم بالتأويل.

٣ ـ ما يعلمه أهل العربية واللغة.

لكنه لم يبين لنا حدود كل نوع، أى كيف يمكن أن نحكم على أن هنا وقفا واضحا أو مشكلا أو مالا يعلمه إلا المتخصصون في العربية.

كما أنه لم يمثل لنا من القرآن الكريم بآيات توضح هذه الأنواع، بل لم يشر إليها فى كتابه، على الرغم من أنه قد استخدم مصطلحات أخرى ـ دون تعريفها ـ هى:

(التام ـ الحسن ـ القبيح ـ الصالح ـ الكاف).

نتراه عند تعرضه ـ مثلا ـ لقول الله عز وجل:

(الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا، والله واسع عليم. يؤتى الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا، وما يذكر إلا أولو الألباب) (٢) .

---

(١) القطع والائتناف ١/ ٢٤

(٢) من سورة البقرة ٢/ ٢٦٨، ٢٦٩

فعند كلمة (فضلا) يقول: قال نافع: تم، أى قطع تمام.

وعند كلمة (عليم) يقول: قطع حسن.

وعند كلمة (كثيرا) يقول: هذا قطع كاف عند أبي حاتم (السجستانى)، وزعم العباس بن الفضل أنه تمام. والصواب ماقاله أبو حاتم [(١)] .

من كلام أبى جعفر يكون القطع التام بعد انتهاء الجملتين الاسميتين المعطوفتين. وهما:

١ـ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء.

٢ ـ الله يعدكم مغفرة منه وفضلا.

وهما جملتان اسميتان كبريان، خبر كل منهما جملة فعلية، فعلها مضارع، والمعنى في أيهما ضد الأخرى.

ويكون القطع الحسن بعد انتهاء الفاصلة، ومع ذلك فالجملة التي بعدها مفسرة لما قبلها. فإذا كان الله تعالى واسعا عليما، فإن من وسعه وعلمه تعالي أنه يؤتى الحكمة من يشاء من عباده. والجملتان هما:

١ ـ والله واسع عليم.

٢ ـ يؤتى الحكمة من يشاء.

ويكون القطع الكافى بعد الإتيان بجملتين فعليتين، الثانية منهما مفسرة للأولى، وهما:

ـ يؤتى الحكمة من يشاء.

ـ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا.

ورغم أن تعلق هاتين الجملتين هو نفسه تعلق الجملتين السابقتين، (والله واسع عليم ـ يؤتى الحكمة من يشاء)، إلا أن القطع فى الحالة الأولى حسن، وفى الثانية كاف. ولعل ذلك هو الذى حدا بأبى جعفر أن يذكر رأيين فيه، فأبو حاتم يراه قطعا كافيا، على حين يراه العباس بن الفضل تاما. ومع ذلك

---

(١) انظر: القطع والائتناف ١/ ١٢٦

فقد انحاز إلى رأى أبى حاتم، دون أن يقدم لنا دليلا على هذا الانحياز، بل قال: والصواب ما قاله أبو حاتم.

وقد مثل للقطع (الصالح) حين تعرض لقوله عزوجل:

(ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا). [(١)]

فقال: «هنا قطع صالح». [(٢)]

ولم يمثل للقطع القبيح.

- ورغم ذلك نجد محقق كتابه (القطع والائتناف) يعرف هذه الأنواع تعريفات غير دقيقة، دون أن يمثل لها، حين قال:

«فالقطع التام هو ما يكون بعد تمام الكلام وليس له تعلق بما بعده، والكافى تعلقه معنوى، والحسن تعلقه لفظى». [(٣)]

ولسنا ندرى كيف يمكن فصل اللفظ عن المعنى، حتى يتسنى لنا معرفة التعلق اللفظى من التعلق المعنوى. مع أنه لا انفصال بين اللفظ ومعناه، إذ إن الكلمة فى اللغة كالعملة، أحد وجهيها هو اللفظ، والوجه الآخر هو المعنى [(٤)] .

---

(١) من سورة النساء ٤/ ٦٠ والآية كاملة هى (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، وقد أمروا أن يكفروا به، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا).

(٢) القطع والائتناف ١/ ١٨١ وانظر ١/ ٢٠٥، ٢٠٩، ٢١٢

(٣) القطع والائتناف، مقدمة التحقيق ٩٨

(٤) انظر: المزهر ١/ ٨ والخصائص ١/ ١٥٠، ١٧٦، ٢٢١، ٢٢٥ واللسان والإنسان ٣٣ ومناهج البحث في اللغة ١٦ وبحوث ومقالات ١٧ - ٢٣ وعلم الدلالة العربى ٣٠ واللغة بين العقل والمغامرة ٤٤، ٤٥

٣ـ محمد بن طيفور السجاوندي (من علماء المائة السادسة للهجرة) [(١)]

قسم السجاوندى الوقف إلى خمسة أقسام حين قال:

«الوقف على خمس مراتب، لازم ومطلق وجائز ومجوز لوجه ومرخص ضرورة» [(٢)] ولم يقف عند هذه التقسيمات، بل عرف كل قسم وشرطه ومثل له بآيات من القرآن الكريم.

فاللازم عنده هو «مالو وصل طرفاه غير المراد، نحو قوله (تعالى): (وما هم بمؤمنين) يلزم الوقف هنا، إذ لو وصل بقوله (تعالى):(يخادعون الله) [(٣)] ، توهم أن الجملة صفة لقوله (تعالى): (بمؤمنين). فانتفى الخداع عنهم، وتقرر الإيمان خالصا عن الخداع» [(٤)] .

إنه هنا يشير إلى جملتين هما:

١ - ما هم بمؤمنين.

٢ - يخادعون الله.

فالجملة الأولى اسمية، والثانية فعلية. ولو وقفنا عند نهاية الجملة الأولى (مؤمنين) لصار النفى فى أولها متعلقا بإسناد الخبر إلى المبتدأ، وعندها يُنفى الإيمان من المنافقين المشار إليهم بالضمير (هم)، وهو ما يتطلبه السياق.

ولو وصلنا هكذا (وما هم بمؤمنين يخادعون الله) لصارت جملة (يخادعون)

---

(١) لم أجد لهذا الرجل تاريخ وفاة، في المراجع التي تحت يدى، فكلها أجمعت أنه عاش في القرن السادس الهجرى. انظر: طبقات المفسرين ٢/ ١٥٥
وإنباه الرواة ٣/ ١٥٣ والوافى بالوفيات ٣/ ١٧٨

(٢) الإتقان في علوم القرآن ١/ ٨٤

(٣) من سورة البقرة ٢/ ٨، ٩والآيتان هما:
(ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين. يخادعون الله والذين آمنوا، وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون).

(٤) الإتقان في علوم القرآن ١/ ٨٤

صفة للخبر (مؤمنين)، وعندها تعمل الأداة (ما) النفى فى الصفة لا الخبر. ويتحول المعني إلى أنهم ليسوا مؤمنين مخادعين، بل هم مؤمنون فقط، وهو ضد المراد من الآية الكريمة.

ويعرف المطلق فيقول عنه: «ما يحسن الابتداء بما بعده، كالاسم المبتدأ به نحو (الله يجتبى) [(١)].

والفعل المستأنف نحو (يعبدوننى لا يشركون بى شيئا) [(٢)] .

ومفعول المحذوف نحو (سنة الله) [(٣)] .

والشرط نحو (من يشأ الله يضلله) [(٤)] .

والاستفهام ـ ولو مقدرا ـ نحو (تريدون عرض الدنيا)» [(٥)] .

---

(١) من سورة الشورى ٤٢/ ١٣ والآية كاملة هى:

(شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه، الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب).

(٢) من سورة النور ٢٤/ ٥٥ والآية كاملة هى:

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض، كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون).

(٣) من سورة الأحزاب ٣٣/ ٣٨، والآية كاملة هى:

(ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له، سنة الله في الذين خلوا من قبل، وكان أمر الله قدرا مقدورا).

(٤) من سورة الأنعام ٦/ ٣٩، والآية كاملة هى:

(والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات، من يشأ الله يضلله، ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم).

(٥) من سورة الأنفال ٨/ ٦٧، والآية كاملة هى:

(ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض، تريدون عرض الدنيا، والله يريد الآخرة، والله عزيز حكيم).

والنفى نحو (ما كان لهم الخيرة) [١] و(إن يريدون إلا فراراً) [٢].

يرى هنا السجاوندى أن الوقف المطلق هو ما يحسن الابتداء بما بعده، وهذا تعريف بالضد، كأنه قال: اللون الأبيض هو ما يكون غيره أسود وهو ما فعله حين عرف الوقف باستحسان البدء بعده، ورآه أنواعا هى:

١ - المبتدأ.

٢ - الفعل المستأنف به.

٣ - المفعول المحذوف فعله.

٤ - الشرط.

٥ - الاستفهام.

٦ - النفى.

وفيما يلى شرح وتفصيل لكلامه:

أولاً: المبتدأ:

هو ما تبدأ به جملة اسمية تفيد معنى معينا، من خلال إسناد صفة أو اسم إلى ذلك المبتدأ [٣]، سواء وصلت بما قبلها أم فصلت عنه.

فإذا قلنا مثلا:

(سرت فى الليل، السير متعة).

---

(١) من سورة القصص ٢٨/ ٦٨، والآية كاملة هى:
(وربك يخلق ما يشاء ويختار، ما كان لهم الخيرة، سبحان الله وتعالى عما يشركون).
والنص مختصر من الإتقان ١/ ٨٤

(٢) من سورة الأحزاب ٣٣/ ١٣ والآية كاملة هى:
(وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا، ويستئذن فريق منهم النبى يقولون إن بيوتنا عورة، وما هى بعورة. إن يريدون إلا فرارا).

(٣) انظر في تعريف المبتدأ والجملة الاسمية:
الكتاب ٢/ ١٢٦
والجمل ٣٦ وشرح اللمع ١/ ٣٤ والجامع الصغير ٤١ وهمع الهوامع ١/ ٩٣ وتسهيل الفوائد ٤٤ وشرح الأشمونى ١/ ٤٥ وحاشية الخضرى ١/ ٨٨

فمتعة السير التي أفادتها الجملة الثانية الاسمية، ليس لها علاقة بما قبلها: بل يمكن الابتداء بها، وفصلها عما قبلها؛ مع وجود المعنى كما هو.

أي إن هذه الجملة الاسمية لها تركيبها الخاص، من حيث الإسناد. وهو مستقل عما سواه، ولذا يحسن الابتداء بها.

من هنا نجد الآية التي مثل بها ابن طيفور، بها جملتان هما:

أ - كبر على المشركين ما تدعوهم إليه.

ب - الله يجتبى إليه من يشاء.

فمعنى الجملة الأولى وتركيبها غير معنى الجملة الثانية وتركيبها، ولذا رأى السجاوندى استحسان الابتداء بالأخيرة.

ثانياً: الفعل المستأنف به:

ويقصد به ما تبدأ به جملة فعلية، تفيد إسناد حدث معين إلى اسم مرفوع أو صفة مرفوعة، يسمى أى منهما فاعلا. [1] سواء اتصلت بغيرها عن طريق العطف أو التوكيد، أم استقلت بنفسها.

فإن قلنا مثلا:

(الشمس مشرقة، تبعث الدفء).

فالجملة الفعلية التالية للاسمية، لاعلاقة لها - من حيث البناء [2]، أو الإعراب - بالجملة الأولى، ولذا يحسن الابتداء بها. وكذلك الحال مع الجملتين في الآية المباركة؛ وهما:

١ - وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا.

٢ - يعبدوننى..

ولذلك أطلق الفصل هنا، حتى يتنبه السامع إلي المعنى الجديد، الذى تبدأ به الجملة الفعلية المبدوءة بالفعل المضارع، والتى تتطلب العبادة لله وحده.

---

(١) انظر في تعريف الجملة الفعلية:
شرح المفصل ١/ ٧٤ وتسهيل الفوائد ٤٨، ٧٥ وهمع الهوامع ١/ ١٥٩ والجمل ١٠ وحاشية الخضرى ١/ ١٥٨ وشرح الأشمونى ١/ ٣٠.

(٢) لا أقصد بالبناء هنا ما هو ضد الإعراب، بل التركيب Structure.

وفى كلتا الحالتين نجد الجملة الاسمية - فى الحالة الأولي - والفعلية فى الحالة الثانية - ذات معني نحوى معين، ولا علاقة بينهما - من حيث الإعراب، والتركيب - وبين ما سبقهما من جمل. ولذلك كان البدء بكل منهما حسنا.

ثالثا: مفعول المحذوف:

ويقصد به السجاوندى الاسم المصدر المنصوب بفعل محذوف، يقدر من السياق. وقد سماه سيبويه (ت ١٨٠هـ) ما ينصب من المصادر [١]، ودرسه بقية النحاة فى باب (حذف عامل المفعول المطلق)[٢] ومعنى ذلك أن هذا المصدر المنصوب يكوّن مع فعله المحذوف، جملةً فعليةً، يحسن الابتداء بها، شأنها في ذلك شأن الجملة الفعلية المذكور فعلها، والتي عرضنا لها فى الحالة السابقة.

ولا علاقة - من حيث الإعراب وتركيب الجملة - بين هذا المفعول وما قبله، كما يتضح من سياق الآية التي مثل بها، وهي:

(ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له. سنة الله في الذين خلوا من قبل) فكل من الجملتين لاعلاقة لها بالأخرى، من حيث ماذكرناه سابقا.

فالأولى اسمية منفية منسوخة بـ(كان)، والثانية فعلية محذوفة الفعل، الذى يدل عليه المفعول المذكور. والتقدير:

«سن لمحمد صلى الله عليه وسلم التوسعة عليه فى النكاح سنة الأنبياء الماضية»[٣].

---

١) انظر: الكتاب ٢/ ٣١٩، ٣٢٨

٢) انظر: شرح المفصل ١/ ١١٣ - ١٢٤ والكافية فى النحو ١/ ١١٧ - ١٢٩ والجمل في النحو ٣٠٥ - ٣٠٧ والجامع الصغير ١٠٧ - ١٠٨ وشرح السيوطى على الألفية ٥٩ وهمع الهوامع ١/ ١٨٨ - ١٩٤ والأساليب الإنشائية ٧٥ - ٧٩
ومن ذلك قولنا في الفصحى المعاصرة (شكرا - عفوا). وكذا في لهجاتنا المصرية المعاصرة.
انظر: بناء الجملة في لهجة الواحات الخارجة ١١١ - ١١٢

٣) تفسير القرطبى ١٤/ ١٩٥

ولذلك نجد أن هذا المفعول المحذوف فعله، وبالتحديد هذه الكلمة ذاتها (سنة)، قد بدئت بها آيتان في القرآن الكريم هما:

- قوله تعالى: (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا، ولا تجد لسنتنا تحويلا)[١].

- قوله تعالى (سنة الله فى الذين خلوا من قبل، ولن تجد لسنة الله تبديلا)[٢]

وهذا يدل على عمق نظرة السجاوندى، فى إطلاقه الوقف فى هذا الموضع.

رابعا - الشرط:

ويقصد به أسلوب الشرط المكون من أداة الشرط وجملته وجوابه، وهو أسلوب قائم بذاته، لا يتعلق بما قبله - من حيث الإعراب وتركيب الكلمات فيه. ويورد ابن طيفور الآية التالية ، ليمثل بها على ذلك، وهي قوله سبحانه وتعالى: (والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات، من يشأ الله يضلله، ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم).

فأسلوب الشرط هنا هو: (من يشأ الله يضلله).

وهو غير متعلق بالجملة الاسمية: (والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات). ولذلك يطلق الفصل بينهما، ويحسن الابتداء بأسلوب الشرط. إذ المعنى تم في الجملة الاسمية، حين أسند الصمم والبكم إلى المكذبين، ثم جاءت المشيئة، فمن أراد الله له الضلال أضله.[٣]

من هنا وجدنا أن بعض الآيات قد بدأت بأسلوب الشرط. ومعلوم أن الوقف لابد منه فى نهاية كل آية، حتى تبتدأ آية أخرى. مثل:

---

(١) من سورة الإسراء ١٧/ ٧٧

(٢) من سورة الأحزاب ٣٣/ ٦٢

(٣) انظر: تفسير القرطبى ٦/ ٤٢٢

أ ـ قوله تعالى: (ولو شئنا لرفعناه بها، ولكنه أخلد إلى الأرض) [١].

ب ـ قوله تعالى: (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) [٢].

حـ ـ قوله تعالى: (ومن يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه) [٣].

بل إن بعض سور القرآن الكريم قد بدأت بأسلوب الشرط، وهى ست نذكرها:

أ ـ سورة الواقعة، وأولها قول الحق سبحانه:

(إذا وقعت الواقعة).

ب ـ سورة المنافقون، وتبدأ بقوله عز وجل:

(إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله، والله يعلم إنك لرسوله، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون).

حـ ـ سورة التكوير، وأولها قوله سبحانه وتعالى:

(إذا الشمس كورت).

د ـ سورة الانفطار، وتبدأ بقول الحق تعالى:

(إذا السماء انفطرت).

هـ ـ سورة الزلزلة، وتبدأ بقوله تبارك وتعالى:

(إذا زلزلت الأرض زلزالها).

و ـ سورة النصر، وتبدأ بقوله عز وجل:

(إذا جاء نصر الله والفتح). [٤]

---

(١) من سورة الأعراف ٧/ ١٧٦

(٢) من سورة الأنفال ٨/ ٦٨

(٣) من سورة الإسراء ١٧/ ٩٧

(٤) أرقام هذه السور على التوالى هي: ٥٦، ٦٣، ٨١، ٨٢، ٩٩، ١١٠.

خامسا: الاستفهام:

ويقصد به أسلوب الاستفهام، أي جملة اسمية أو فعلية مسبوقة بأداة استفهام،وهو أسلوب قائم بذاته - مثل بقية أساليب الإنشاء في اللغة العربية - فلا يتعلق بما قبله من حيث الإعراب أو تركيب كلماته.

ولذا أطلق السجاوندى الوقف قبله، واستحسن الابتداء به - ومثل له بقوله تعالى:

(ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض، تريدون عرض الدنيا) [(١)].

فالجملة الأولى منفية، انتهى معناها وتركيب كلماتها عند كلمة (الأرض)، لتبدأ بعد ذلك جملة استفهامية أخري، لها نسق خاص فى التركيب، وهى: (تريدون عرض الدنيا). وهنا نجد أن أداة الاستفهام مقدرة، وتقديرها: (أتريدون عرض الدنيا، أو هل تريدون عرض الدنيا). [(٢)]

ولذلك احترز السجاوندى عند ذكره هذا الأسلوب فقال:

«الاستفهام ولو مقدرا» [(٣)] فالتنغيم هنا قام مقام أداة الاستفهام، والمعني يحتمل التقريع والاستنكار.

ونرى من هنا أن كثيرا من آيات القرآن العظيم قد بدأت بأسلوب الاستفهام - وأول الآيات لازم الابتداء به - مثل:

أ - قوله سبحانه:«ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن، واتبع ملة إبراهيم حنيفا...» [(٤)].

---

(١) سورة الأنفال ٨/٦٧

(٢) ولم يقل بأنها تحمل معنى الاستفهام إلا السجاوندى وحده، وقال بخبريتها القرطبى وابن كثير والفخر الرازى.
انظر تفسير القرطبى ٨/ ٤٦

(٣) الإتقان ١/ ٨٤

(٤) من سورة النساء ٤/ ١٢٥

ب - قوله جل وعلا: «ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم...» (١)

جـ - قوله عز وجل: «أهم يقسمون رحمة ربك..» (٣)

كما أن هناك سورا بدأت بأسلوب الاستفهام، وهى ست :..

١ - سورة الإنسان، وأولها قوله تعالى:

«هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا» (٤)

٢ - سورة النبأ، وأولها قوله سبحانه:

«عم يتساءلون».

٣ - سورة الغاشية، وأولها قوله عز وجل:

«هل أتاك حديث الغاشية».

٤ - سورة الشرح، وأولها قوله تبارك اسمه:

«ألم نشرح لك صدرك».

٥ - سورة الفيل، وأولها قوله جل وعز:

«ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل».

٦ - سورة الماعون، وأولها قوله سبحانه:

«أرأيت الذى يكذب بالدين» (٥)

سادسا: النفى:

المقصود بالنفى هنا الجملة المنفية، سواء كانت اسمية أم فعلية.

وما يصدق على الجملة الفعلية المثبتة (الفعل المستأنف به)،

وما يصدق على الجملة الاسمية المثبتة (المبتدأ) - فيما سبق - يصدق هنا

---

١٥) من سورة التوبة ٩/ ٧.

١٦) من سورة الزخرف ٤٣/ ٣٢

١٧) قال المفسرون إن معنى (هل) هنا هو (قد) وبذلك يتحول الاستفهام إلى الخبر المحقق ب(قد).

أنظر: تفسير النسابورى (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) ٢٩/ ١٠٩

١٨) وأرقام هذه السور على التوالى هى ٧٦، ٧٨، ٨٨، ٩٤، ١٠٥، ١٠٧

على جملة النفى. ولذلك استشهد السجاوندى بالنوعين، الاسمية المنفية وهى قوله سبحانه: «ما كان لهم الخيرة».

والفعلية المنفية، وهى قوله عز وجل: «إن يريدون إلا فرارا».

ونلاحظ أن بناء كلتا الجملتين لا يختلف عنه حالة الإثبات، إلا ما كان من قانون الزيادة فيهما، أى زيادة أداة النفى المناسبة للمعنى المراد. وذلك على النحو التالى:

١ ـ كان لهم الخيرة (ما) كان لهم الخيرة.

= ما +الجملة نفسها.

٢ ـ يريدون فرارا (إن) يريدون (إلا) فرارا [١].

= إن + إلا + يريدون فرارا.

فلم يحدث تقديم أو تأخير، أو تنكير أو تعريف، أو تثنية أو جمع.

بل الجملة كما هي، مع زيادة مورفيم النفى. ولا علاقة بين أى من هاتين الجملتين، وما قبلهما، من حيث التركيب أو الإعراب. ففى الحالة الأولى نجد الآية التالية:

(وربك يخلق ما يشاء ويختار، ما كان لهم الخيرة).

فالجملة الأولى [٢] تخبرنا أن الله تعالى له حرية المشيئة والاختيار فيما

---

(١) لاحظ هنا أن مورفيم النفى (إن) قد أثبت بمورفيم الاستثناء (إلا).
وتحولت الجملة هنا من الإثبات إلى النفى ثم إلى الإثبات مع الحصر والتوكيد مرة أخرى.
يريدون فرارا: إن يريدون فرارا: إن يريدون إلا فرارا.
إثبات: نفى: إثبات: توكيد وحصر

(٢) إن النظرة السطحية تنظر إلى التركيب (وربك يخلق ما يشاء ويختار) على أنه جملة واحدة، اسمية. أما النظرة العميقة فترى فيه أربع جمل هى:
أ ـ جملة الخبر (يخلق).
ب ـ جملة صلة الموصول (يشاء)
حـ ـ جملة معطوفةعلى جملة الصلة (يختار) أو على جملة (يخلق).
د ـ الجملة الرئيسية التى تضمنت تلك الجمل كلها، وهى الاسمية المبدوءة بالمبتدأ (ربك).

يخلق، والثانية تبين أن ليس للبشر اختيار.[١]وكل منهما لها تركيبها الخاص بها.

وفي الحالة الثانية نرى الآية:

(ويستئذن فريق منهم النبى يقولون إن بيوتنا عورة، وما هى بعورة، إن يريدون إلا فرارا).فالجملة التى نحن بصددها لا تتعلق من حيث الإعراب أو التركيب بما سبقها، بل هى مستقلة بنفسها.

ولذلك نرى السجاوندى يعقب علىّ كل الأحوال الستة السابقة فيقول: «حيث لم يكن كل ذلك مقولا لقول سابق»[٢] أى لا ارتباط بينها وبين ما سبقها من جمل أو تراكيب لغوية.

أما القسم الثالث أو الوجه الثالث - كما يسميه السجاوندى - من أقسام الوقف، فهو الجائز، ويعرفه بقوله:

«ما يجوز فيه الوصل والفصل، لتجاذب الموجبين من الطرفين، نحو (وما أنزل من قبلك)، فإن واو العطف تقتضى الوصل، وتقديم المفعول على الفعل يقطع النظم. فإن التقدير: ويوقنون بالآخرة»[٣].

إنه هنا يشير إلى الوقف الجائز، أي ما يجوز فيه الوقف. وإذا كان الوقف ضد الابتداء، فكذلك يجوز فيه الوصل.

ويمثل له بقوله عز وجل:

(والذين يؤمنون بما أُنزِل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون).[٤]

فيرى أنه يمكن الوقف عند المركب الظرفى (قبلك)،

كما يمكن الوصل حتي نهاية الآية ويعلل ذلك بأن كلا منهما صحيح.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى ١٣/ ٣٠٥

(٢) الإتقان فى علوم القرآن ١/ ٨٤، ٨٥

(٣) الإتقان فى علوم القرآن ١/ ٨٥

(٤) سورة البقرة ٢/ ٤

فالوصل يصح لوجود مورفيم العطف (الواو)، الذى عطف جملة (وبالآخرة هم يوقنون) على جملة (يؤمنون..).

أى إنه يشير إلى أن كلا من الجملتين تكون ركنا من ركنى المركب العطفى، الذى هو: (يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون).

ولا يمكن الفصل بين ركنى هذا المركب - شأنه شأن بقية المركبات - ولذلك يعضد نظرته بإعادة ترتيب الجملة المعطوفة عليها، فيقدرها ب:

(يوقنون بالآخرة). وحينئذ يحدث التشابه بين الركنين، من حيث استمرار زمن الفعل وتعديته بمورفيم الجر (الباء).

وهذه نظرة عميقة لهذه الجملة، حيث فطن إلى أصل تركيبها، فأعاد ترتيب أجزائها، فقدم الفعل والفاعل على المفعول، وبذلك لم يفصل بينها وبين ما سبقها.

أما باعتبار النظر إلى البنية السطحية[١]، فإن جملة (بالآخرة هم يوقنون)، جملة مقدم فيها المفعول به الذي هو المركب الحرفى (بالآخرة)، ولهذا تختلف عن تركيب جملة (يؤمنون بما..)، وهو ما أشار إليه السجاوندى بقوله: (قطع النظم). ولهذا أجاز الفصل بينهما.

والقسم الرابع من أقسام الوقف عند ابن طيفور هو المجوز لوجه. ويقول

---

(١) مصطلح البنية العميقة D eep S tructure والبنية السطحية Surface Structure قال بهما لغوى أمريكى معاصر هو تشومسكى N. Chomsky وذلك فى إطار نظريته التوليدية التحويلية Transformational Generative

ويشير بمصطلح البنية السطحية إلى شكل الجملة الفونولوجى المكتوب أو المنطوق، على حين يشير بمصطلح البنية العميقة إلى الفهم والتقدير والتأويل لهذا الشكل الفونولوجى.

وقد أفاض اللغويون الغربيون فى شرحهما. انظر مثلا:

1 - N. Chomsky Cartesian L inguistics : p. 64,
2 - N. Chomsky: Languoge and Mind : p. 17
3 - John Lyons: New Horizons : p. 27
4- R. W ordhuagh: Introduction to finguistics: p.

فيه:

«والمجوز لوجه نحو (أولئك الذين اشتروا الحياة الدينا بالآخرة)، لأن الفاء في قوله (فلا يخفف عنهم) تقتضى التسبب والجزاء، وذلك يوجب الوصل، وكون لفظ الفعل على الاستئناف يجعل للفصل وجها»(١)

إنه يستشهد هنا على هذا القسم الرابع بقوله عز وجل:

(أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون)(٢).

حيث يجيز الوقف على الجملة الاسمية، التي هي:

(أولئك الذين اشتروا الحياة الدينا بالآخرة).

ثم يبتدئ جملة جديدة، هي الفعلية المبدوءة بالمضارع المنفى (فلا يخفف عنهم العذاب).

والملاحظ هنا أن الجملتين مرتبطتان بالفاء التي تقتضى الجزاء وبذلك يجوز الوصل، ولا يوقف على أولهما، ولكن مجئ الجملة الثانية الفعلية بصورة الفعل المضارع، فإنه يجوز الفصل بينهما، والبدء بها قياسا على الفعل المستأنف به - كما مضى شرحه(٣).

والقسم الأخير من أقسام الوقف يسميه ابن طيفور (المرخص ضرورة).

ويعرفه بقوله:

«والمرخص ضرورة مالا يستغنى ما بعده عما قبله، لكنه يرخص لانقطاع النفس وطول الكلام. ولا يلزمه الوصل بالعود، لأن ما بعده جملة مفهومة، كقوله (والسماء بناء). لأن قوله (وأنزل) لا يستغنى عن سياق الكلام، فإن فاعله ضمير يعود إلي ما قبله، غير أن الجملة مفهومة»(٤).

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن ١/ ٨٥

(٢) سورة البقرة ٢/ ٨٦

(٣) انظر ص٥٥من هذا البحث.

(٤) الإتقان فى علوم القرآن ١/ ٨٥

يرى هنا أن علة الوقف هى انقطاع النفس وطول الكلام، ذلك أن الصوت الخارج من الجهاز الصوتى لابد له من هواء خارج من الرئتين. وهذا الهواء يتراوح بين إنسان وآخر. فقد يخرج الهواء بمقدار كاف لإنتاج عدة أصوات متتابعة تتكون منها كلمات وجمل تؤدى دلالة معينة. وقد ينتهى الهواء عند كلمة معينة، فيقف القارئ بعدها، ثم يكمل دون الرجوع إلى ما سبق، شريطة أن يكون هذا الكلام المبتدأ به ذا معنى مفهوم من الكلام الموقوف عنده. مع عدم استغناء أحدهما عن الآخر.

يوضح ذلك السجاوندى، باستشهاده بالآية الكريمة التالية:

(الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم، فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون)(١)

فالوقف على جملة (الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء)

يفهم منه المعنى المراد، والبدء بالجملة الفعلية (وأنزل من السماء ماء) لا يصح، إذ إنها جملة تكون ركنا من ركنى المركب العطفى، مع جملة (جعل لكم)،

والضمير فى فعليهما (جعل - أنزل) يعود على الضمير الموصول (الذى).

ولما كان الضمير فى الفعل (أنزل) مفهوما أى مقدرا من السياق، يعود على الحق سبحانه، فقد رخص البدء بجملة هذا الفعل (أنزل من السماء ماء). التى أفادت إنزال الماء من السماء بقدرة الله تعالى، ومع ذلك لم تستغن عما قبلها، بل ارتبطت به من ناحيتين هما العطف وضمير الفاعلية فى الفعل (أنزل).

هذه هى دراسة السجاوندى لأنواع الوقف، وهى دراسة تحليلية واعية، لم تترك مصطلحا إلا مثلت له وشرحته. كما تمتاز بعمق النظرة وكثرة التفصيلات.

---

(١) سورة البقرة ٢/ ٢٢

٤ ـ ابن جزى الكلبى (ت ٧٤١هـ)

جاءت دراسة ابن جزى الكلبى للوصل والفصل فى مقدمة كتابه (التسهيل لعلوم التنزيل)، كما سبق عرض ذلك فى حينه[١].

وقد قدم لكلامه فى الوصل والفصل بقوله: «اختلف الناس فى كثير من الوقف»[٢] ثم يفصل هذا الاختلاف فيرى «من أقوالهم فيها راجح ومرجوح وباطل»[٣] غير أنه لم يعرف هذه الأقوال أو يمثل لها، أو يشرحها أو يتكلم عن تسميتها، بل ينتقل فجأة إلى تعريفه ونظرته للوقف، فيقول:

«وهى أربعة أنواع وقف تام، وحسن، وكاف، وقبيح»[٤].

ويشرح ابن جزى هذه الأقسام فيقول:[٥]

وذلك بالنظر إلى الإعراب والمعنى، فإن كان الكلام مفتقرا إلى ما بعده فى إعرابه أو معناه، وما بعده مفتقرا إليه كذلك، لم يجز الفصل بين كل معمول وعامله، وبين كل ذى خبر وخبره، وبين كل ذى جواب وجوابه، وبين كل ذى موصول وصلته»[٦].

فهو هنا يبين سبب تقسيم الوقف، قبل أن يورد هذه الأقسام، حيث يرى أن الإعراب والمعنى هما المعول عليه فى ذلك. فلا يجوز عنده الفصل بين

(١) انظر ص هذا البحث.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ١٢

(٣) المرجع نفسه ١/ ١٢

(٤) المرجع نفسه ١/ ١٢

(٥) وقد أنث كلمة الوقف، حيث أشار إليها بالضمير . (هى)، وهنا يتبادر إلى الذهن احتمالان:

الأول: أن يكون قد وصف عملية الوقف أو حالة الوقف، ولذلك أنث الضمير (هى) لأنه يعود على العملية أو الحالة.

الثانى: أن يكون الأصل الذى حققه المحقق به الضمير (هو)، ولكنه نقلها(هى). ولعدم تحقيق الكتاب على يد محقق آخر، وعدم رؤيتنا المخطوطة التى حققت، فلن نستطيع أن نرجح أحد الاحتمالين على الآخر.

(٦) المرجع نفسه ١/ ١٢

المتعلقات فى المعنى والإعراب، فى الوجوه التالية:

١ : بين كل معمول وعامله:

فلا يفصل بين الأفعال الناسخة ومعموليها أو أحدهما، وبين الحروف الناسخة ومعموليها أو أحدهما، وبين مورفيمات النصب وأفعالها المنصوبة، وبين مورفيمات الجزم وأفعالها المجزومة، ومورفيمات الجر ومجروراتها، وبين الفعل وفاعله أو مفعوله.

فكل هذه ثنائيات تمثل عاملا. ومعموله، حيث تعمل (أن) النصب فى الفعل المضارع، وتعمل (فى) الجر فى الاسم بعدها.. وهكذا.

وإذا قلنا مثلا: (إن) ووقفنا، دون نطق كلمة بعدها، فلن يفهم شئ، لأن المعنى قد بتر. ولا يتم إلا بذكر معموليها، اسمها المنصوب وخبرها المرفوع، وعندئذ يكتمل المعنى، ليصير:

(إن ربى لسميع الدعاء)[1].

أى إن المبتدأ هو المركب الإضافى (ربى)، والخبر هو المركب الإضافى أيضا (لسميع الدعاء)، وكلاهما يفتقر إلى ما قبله، الذى لا يفهم إلا بهما كذلك.

كذلك إن قلنا: (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من...).

ووقفنا عند عامل الجر (من) لبتر المعنى وما فهم. لذلك لابد من إتمامه بذكر معمول (من) المجرور، وهو المركب الظرفى (حولك)، لتصير الجملة:

(ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)[2].

٢ : بين كل ذى خبر وخبره:

والأخبار فى العربية ثلاثة هى:

أ- خبر المبتدأ، وهو مرفوع.

---

(١) من سورة ابراهيم ١٤/ ٣٩

(٢) من سورة آل عمران ٣ / ١٥٩

ب ـ خبر الأفعال الناسخة، وهو منصوب.

جـ ـ خبر الحروف الناسخة، وهو مرفوع.

وتوجد هذه الأخبار داخل نطاق جملة اسمية؛ بحيث تكون ركنا أساسيا من ركنيها. وأصحاب هذه الأخبار أو معمولاتها هي؛ على التوالى:

أ ـ المبتدأ المرفوع.

ب ـ اسم الفعل الناسخ.

جـ ـ اسم الحرف الناسخ.

ولكننا ـ في الفقرتين (ب، جـ) نعزو الأخبار إلى الفعل الناسخ والحرف الناسخ؛ فنقول مثلا (خبر كان أو خبر لعل)، مع أن هذه الأخبار مسند إليها اسم كان أو اسم لعل؛ ولم تسند إليها هذه النواسخ. بل إن هذه النواسخ قد نسخت العمل الإعرابى دون الإسناد؛ الذى ظل كما هو.

فإن قلنا مثلا قول الله تعالى:

(هذا عذب فرات سائغ شرابه)[1].

ووقفنا عند المبتدأ (هذا)؛ بحيث تنفصل بقية الجملة؛ لما فهمنا منه شيئا. كما أن الابتداء بالخبر (عذب فرات...) لايفيد شيئا أيضا. ولايفهم المعنى إلا بوصلهما معا. فذو الخبر هنا هو المبتدأ (هذا)، وخبره هو المرفوع بعده (عذب).

٣: بين كل ذى جواب وجوابه:

والأجوبة في العربية هى:

أ ـ جواب الشرط.

ب ـ جواب القسم.

جـ ـ جواب الأمر أو الطلب.

د ـ جواب النهى.

وذلك كقوله تعالى:

---

(١) سورة فاطر ٣٥/ ١٢

أ - (ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه) [(١)].

ب - (وتالله لأكيدن أصنامكم)[(٢)].

جـ - (ادعونى أستجب لكم) [(٣)]

وقول ابن جزى بعدم الفصل بين كل ذى جواب وجوابه يعنى إتمام نطق تلك الأساليب دون فصل بين أركانها. وهى أساليب مستقلة بنفسها فى الإعراب والمعنى.

ومع ذلك فإنه يمكن الفصل بين أجزاء أسلوب القسم فى حالات ثلاث هى:

أ - وجود جملة القسم فى آية، وجوابه فى آية أخرى. كقوله تعالى: (والعصر. إن الإنسان لفى خسر)[(٤)].

وقوله تعالى: «والنجم إذا هوى. ما ضل صاحبكم وما غوى» [(٥)]

ب - وجود العطف على المقسم به، كقوله تعالى:

(والنازعات غرقا. والناشطات نشطا...يوم ترجف الراجفة)[(٦)]

وقوله سبحانه: (والتين والزيتون. وطور سنين... لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم)[(٧)].

جـ - ذكر قصة موجزة بين جملة القسم وجملة الجواب؛ وذلك كما فى سورة الفجر: (والفجر. وليال عشر. والشفع والوتر... ألم تر كيف فعل ربك بعاد... إن ربك لبالمرصاد)[(٨)].

ومعلوم أن رؤس الآى فى نفسها مقاطع، يجب الوقوف عندها - كما

---

(١) سورة لقمان ٣١/ ١٢

(٢) سورة الأنبياء ٢١/ ٥٧

(٣) سورة غافر ٤٠/ ٦٠

(٤) سورة العصر ١٠٣/ ١، ٢

(٥) سورة النجم ٥٣/ ١، ٢

(٦) سورة النازعات ٧٩/ ١ - ٦

(٧) سورة التين ٩٥/ ١ - ٤

(٨) سورة الفجر ٨٩/ ١ - ١٤

سبق[١]. ولذلك لابد من الوقف على نهاية كل آية، وبذا يفصل بين جملة القسم وجوابه.

كما أن هناك جمل شرط يوقف عليها، لعدم وجود جواب ظاهر منطوق لها، مثل قوله تعالى:

(ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى...) [٢]

وكذلك قد توجد جمل شرط فى آية، وجوابها فى آية أخرى؛ ولذلك يوقف على كل منها؛ بقطع الجواب عن شرطه؛ كما فى قوله تعالى: (إذا وقعت الواقعة.ليس لوقعتها كاذبة) [٣] .

وأيضا حين العطف على جملة الشرط قبل الجواب، كما فى قوله سبحانه:

(إذا جاء نصر الله والفتح... فسبح بحمد ربك...) [٤].

٤: بين كل ذى موصول وصلته:

وذو الموصول هو الاسم الموصول عند النحاة العرب، أو الضمير الموصول. وهو ضمير مبهم لايزال إبهامه إلا بضمير شخصى منفصل أو متصل؛ فإن كان متصلا فهو فى جملة فعلية، وإن كان منفصلا فهو فى جملة اسمية. وكلتا الجملتين تسمى صلة الموصول، ولامحل لها من الإعراب [٥] .

فإبهام الضمير الموصول لايفهم إلا بجملة بعده هى جملة الصلة، وعلى ذلك فلايمكن فهم المراد من هذه الضمير إلا بذكر هذه الجملة بعده. ففى قوله تعالى:

---

(١) نظر ص ٢٥ من هذا البحث.

(٢) سورة الرعد ١٣/ ٣١

(٣) سورةالواقعة ٥٦/ ١، ٢

(٤) سورة النصر ١١٠/ ١ - ٣

(٥) انظر: الكتاب ١/ ١٣٨، ٢/ ١٠٥ - ١٠٩ وشرح المفصل ٣/ ١٣٨ - ١٦٠ والكافية ٢/ ٣٥ - ٤٦ وتسهيل الفوائد ٣٣ - ٣٨ ومغنى اللبيب ١/٧٧ - ٧٨ ، ٢٦٩ - ٣٢٧ وشرح الأشمونى ١/١٥٥ - ١٣٦ وهمع الهوامع ١/٨١ - ٩٣.

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات)(١).

إن وقفنا عند الضمير الموصول (الذين) لانجد أية دلالة فى الذهن؛ بل لابد من توضيح المراد من هذا الضمير، وهو ماتفسره الجملة الفعلية (آمنوا). التى هى صلة لهذا الموصول؛ والضمير العائد فيها هو مورفيم الفاعلية (واو الجماعة).

كذلك فى قوله تعالى:

(وفيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين) (٢).

إن وقفنا عند كلمة (ما): التى هى ضمير موصول؛ لم نفهم المراد منها، إلا إذا وصلنا بجملة (تشتهيه) التى هى جملة الصلة، والضمير العائد فيها هو مورفيم المفعولية المتصل (الهاء).

ثم يتدرج ابن جزى فى الكلام، فيصف لنا الوقف الكافى، فيقول: «إن كان الكلام الأول مستقلا؛ يفهم دون الثانى، إلا أن الثانى غير مستقل إلا بما قبله، فالوقف على الأول كاف. وذلك فى التوابع والفضلات؛ كالحال والتمييز والاستثناء وشبه ذلك. إلا أن وصل المستثنى المتصل آكد من المنقطع، ووصل التوابع والحال إذا كانت أسماء مع ذات آكد من وصلها إذا كانت جملة» (٣).

يعرف الوقف الكافى بأنه ماكان ماقبله مستغنيا عما بعده، ومابعده غير مستغن عنه. أى ماكان قبله ركنان أساسيان فى الجملة، ومابعده فضلة أو تابع. ومثل لذلك بالحال المفرد والتمييز، وغيرهما كالصفة المفردة، والبدل المفرد، والاستثناء المتصل. ويرى أن هذه التوابع إن جاءت جملة فهى أولى بالوصل من الفصل، وكذلك الاستثناء إن جاء منقطعا.

ذلك لأن الجملة تستقل بمعناها عند تمام ركنيها الأساسيين؛ وهما الفعل

---

(١) سورة الكهف ١٨/ ٣٠، ١٠٧

(٢) سورة الزخرف ٤٣/ ٧١

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ١٢

والفاعل فى الجملة الفعلية، والمبتدأ والخبر في الجملة الاسمية.

ثم تأتى الفضلة أو التوابع متعلقة بأحد ركنى الجملة؛ فالحال مثلا قد تكون مبينة لهيئة الفاعل أو مؤكدة للفعل أو مبينة لهيئة الخبر. وبذلك لاتفهم وحدها، ولاتستقل فى معناها. بل يمكن فهم ركنى الجملة فقط عند الوقف عليهما، وهو ماسماه ابن جزى (الوقف الكافى).

ونوضح ذلك بالآيات التالية:

أولا: الحال:

أ - قوله تعالى: «فتبسم ضاحكا من قولها».[١]

ب قوله تعالى: «وجاء أهل المدينة يستبشرون».[٢]

فهنا نجد جملتين فعليتين هما:

أ - فتبسم (هو).

ب - وجاء أهل المدينة.

وقد أدت هاتان الجملتان المعنى المراد منهما، وهو التبسم فى الأولى، ومجئ أهل المدينة فى الثانية. ولاتستقل الحال الأولى (ضاحكا) بمعناها حين النطق بها، فهى مؤكدة للفعل (تبسم)، ولذلك لابد من نطقها موصلة مع الجملة كلها.

وفى الجملة الثانية نرى الحال جملة فعلية هى (يستبشرون)، وهى مبينة للفاعل (أهل المدينة)، ولكنها تستقل بمعنى معين، لكونها جملة. وهو مافطن إليه ابن جزى فى قوله: «ووصل التوابع والحال إذا كانت أسماء مع ذات آكد من وصلها إذا كانت جملة» [٣].

أى إنه يمكن الفصل عند نهاية الركنين الأساسيين، والبدء بالجملة الفعلية

(١) سورة النمل ٢٧/ ١٩

(٢) سورة الحجر ١٥/ ٦٧

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ١٢

(يستبشرون). ولولا الموقع الوظيفى لها (الحال) لأشبهت الفعل المستأنف به عند السجاوندى؛ فيما سماه (الوقف المطلق) [١].

ثانيا: الاستثناء:

أ ـ قوله تعالى: «مالهم به من علم إلا اتباع الظن» [٢].

ب ـ قوله تعالى: «ولايملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق» [٣].

نجد فى الآية الأولى أن الاستثناء منقطع، أى ليس المستثنى جزءا من المستثنى منه. فليس الظن جزءا من العلم [٤]، وهو مارأى ابن جزى الوقف عنده كافيا؛ خلافا للاستثناء المتصل في الآية الثانية. حيث إن المستثنى جزء من المستثنى منه، فمن شهد بالحق جزء ممن لايملك الشفاعة إلا أنهم يملكونها. ولايؤدى المستثنى معنى مستقلا بنفسه إذا فصل عما قبله، بل لابد من نطق الجملة كلها معا حتى يستقيم المعنى. ورغم ذلك فإن ماقبل إلا يمكن نطقه وحده والوقف عليه، وله معنى؛ يختلف بعض الشئ عنه إذا وصل بالمستثنى.

فجملة (لايملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) قد أفادت عدم امتلاك الذين يدعون الشفاعة من دون الله، وهو معنى محدد واضح. وإذا اتصل بالمستثنى وجملة صلة، ظهرت الجملة كاملة واضحة؛ فهناك من يملك الشفاعة وهم الشهداء بالحق العالمون به [٢٥]. ولذا رأى ابن جزى أن الوصل هنا آكد من الفصل.

وهناك استثناء متصل يمكن الوقف بعد المستثنى منه، ثم البدء بأداة الاستثناء دون الرجوع إلى المستثنى منه، ويكون الوقف هنا تاما، وذلك عندما

---

(١) انظر ص ٥٥ من هذا الكتاب.

(٢) سورة النساء ٤/ ١٥٧

(٣) سورة الزخرف ٤٣/ ٨٦

(٤) انظر: معانى القرآن ١/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ١٣٦ وتفسير القرطبي ١٦/ ١٢٢، ١٢٣

يكون المستثنى منه فى آية، والمستثنى في آية أخرى. ذلك لأن رؤس الآيات مقاطع - كما سبق. ومثال ذلك قوله عز وجل:

(وأنهم يقولون مالايفعلون. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) [١].

وقوله سبحانه: (كل نفس بما كسبت رهينة. إلا أصحاب اليمين) [٢].

وقوله تعالى: (لايذوقون فيها بردا ولاشرابا. إلا حميما وغساقا) [٣].

ثم يستطرد ابن جزى ليعرف الوقف الحسن والتام فيقول:

«وإن كان الكلام مستقلا والثانى كذلك، فإن كانا فى قصة واحدة فالوقف على الأول حسن، وإن كانا فى قصتين مختلفتين فالوقف تام» [٤].

وهذا كلام معمم؛ أى لم يخبرنا فيه صاحبه عن علاقة فواصل الآيات به، وكيف يتكون الكلام ذو الطرفين؟ وكيف يستقل كل طرف عن الآخر؟ وهل هذا الاستقلال فى المعنى أم فى الإعراب؟

فأما الاستقلال فى المعنى فهو لايوجد فى الآية الواحدة، إذ لابد من تعلق الكلام بعضه ببعض أو نظمه - كما عبر عنه الجرجانى (ت ٣٩٥هـ) [٥]. وذلك عن طريق العطف أو التوكيد أو الوصف أو النفى أو الاستدراك أو الاستثناء. وليس هناك انفصال بين كلمات الآية الواحدة؛ مهما تعددت جملها، ولننظر إلى الآية التالية مثلا:

(وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار ومالكم من

---

(١) سورة الشعراء ٢٦/ ٢٢٦، ٢٢٧

(٢) سورة المدثر ٧٤/ ٣٨، ٣٩

(٣) سورة النبأ ٧٨/ ٢٤، ٢٥

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ١٢

(٥) انظر: دلائل الإعجاز ١٢، ٥١ والإتقان في علوم القرآن ٢/ ١٠٨، ١٠٩ والبرهان فى علوم القرآن ١/ ٣٩

ناصرين[١].

في هذه الآية نجد خمس جمل هي:

أ - وقال إنما أتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا.

ب - ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض.

جـ ويلعن بعضكم بعضا.

د - ومأواكم النار.

هـ - ومالكم من ناصرين.

وقد تعلقت هذه الجمل بعضها ببعض، فالجملة الأولى فعلية، وكل الجمل بعدها متعلقة بها بالعطف؛ بالمورفيم (ثم) في الجملة الثانية، وبالواو في الثلاث جمل الباقية. فاتخاذ الأوثان من دون الله في الدنيا يسبب للكافرين الاعتراف بتكفير بعضهم بعضا في الآخرة كما يسبب لهم اللعن، وإيواءهم النار، وعدم وجود ناصرين لهم[٢].

وكذلك استقلال المعنى بين الآيات لايوجد، فلا انفصال بين آية وآخرى، بل تفضى كل آية إلى مابعدها، بل وكل سورة إلى مابعدها، فالقرآن الكريم كله قطعة واحدة[٣].

ولتأخذ مثلا على ذلك الآيات التالية:

(إنا أعطيناك الكوثر، فصل لربك وانحر. إن شانئك هو الأبتر)[٤]

نجد هنا ثلاث آيات، الأولى مسببة للأخريين، فوجود الكوثر لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدعاة للصلاة والنحر، وبقاء العقب، وبتر الكاره المبغض أبي جهل.[٥] وهكذا نجد المعنى حلقات يفضي بعضها إلى بعض، ولاتستقل آية بمعناها دون سواها.

---

(١) سورة العنكبوت ٢٩/ ٢٥

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٤٠٩ وتفسير القرطبي ١٣/ ٣٣٨، ٣٣٩

(٣) انظر: اعجاز القرآن ٥٨ والإتقان في علوم القرآن ٢/ ١٠٨، ١٠٩

(٤) سورة الكوثر ١٠٨

(٥) انظر: تفسير ابن كثير ٥٥٦/٤ - ٥٥٩ وقيل أبو لهب والعاص بن وائل.

وأما الاستقلال من حيث الإعراب فهو سهل، وكثيرا مايحدث حيث تستقل كل جملة؛ بتركيبها وإعرابها؛ عما قبلها ومابعدها. وقد أشرنا إلى ذلك فى حديثنا عن الوقف المطلق عند السجاوندى(١).

وماقال به ابن جزى الكلبى عن وجود الكلام المستقل عما قبله فى قصة واحدة، فلعله يقصد استقلال الإعراب والتركيب، لا استقلال المعنى. فمثلا فى قصة داود عليه السلام يقول الحق سبحانه:

(ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد)(٢).

حيث توجد جمل ثلاثة فيها، لكل منها تركيبها الخاص بها، وإعرابها. وهى:

١ ـ ولقد آتينا داود منا فضلا.

٢ ـ ياجبال أوبى معه والطير.

٣ ـ وألنا له الحديد.

وهى جمل فعلية، إلا أن الثانية قد استعاضت عن الفعل فى أولها بمورفيم النداء (يا). وبذلك يكون الوقف حسنا عند نهاية كل جملة (كلام)؛ لا لاستقلاله عما قبله في الإعراب والتركيب.

ومن ناحية استقلال الكلام عما قبله فى آية واحدة، وكل منهما فى قصة مختلفة، فلا يوجد فى القرآن الكريم. إذ الانتقال من قصة إلى أخرى لايأتى إلا عقب الفواصل، لا وسط الآية نفسها.

فحين يتكلم سبحانه وتعالى عن تحريم الأرض المقدسة على بنى اسرائيل، وتيههم فيها أربعين سنة، فذلك قصة. وحين يتكلم عن قابيل وهابيل ابنى آدم عليهم السلام، يأتى به فى آية أخرى عقب الفاصلة؛ وذلك قصة أخرى. وهو

---

١) انظر ص ٥٢، ٥٤ من هذا الكتاب.

٢) سورة سبأ ٣٤/ ١٠.

في قوله تعالى:

(قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين. واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين) [١].

وبذلك يكون الوقف التام عند ابن جزى الكلبى علي رؤس الآيات.

أما النوع الرابع وهو الوقف القبيح، فلم يعرفه، أو يمثل له. ولعله أراد خلاف ماذكر، فعرفه تعريفا سلبيا. أى مالم يكن تاما ولا حسنا ولاكافيا فهو قبيح.

ثم يختم كلامه فيرى أنه قد «يختلف الوقف باختلاف الإعراب أو المعنى» [٢] وذلك تلخيص لما سبق؛ فمرة يكون الوقف تاما، ومرة أخرى يكون حسنا، وثالثة يكون كافيا، ورابعة يكون قبيحا. وهذا عن طريق المعنى وتعلق الجمل بعضها ببعض، فى التركيب والإعراب - كما سبق.

ثم يعطى رخصة للقارئ؛ فيرى أنه «قد يقف لبيان المراد وإن لم يتم الكلام» [٣]. غير أنه لم يمثل لهذا المراد، أو نوع الوقوف عندئذ.

وهكذا جاء كلام ابن جزى الكلبى مقتضبا موجزا غير مشروح، أو مستشهد بآيات من القرآن الكريم.

---

(١) سورة المائدة ٥/ ٢٦، ٢٧

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ١٢

(٣) المرجع نفسه ١٢/١

٥ ـ بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)

لانجد للزركشي رأيا في الوقف أو أقسامه، بل إنه جمع آراء غيره؟ ممن سبقوه، دون أن يعزوها إلى أصحابها. بل كنى عنهم بقوله:

(أكثر القراء) مرة و(بعضهم) مرة أخرى. ويتضح ذلك في قوله: «والوقف عند أكثر القراء ينقسم إلى أربعة أقسام: تام مختار، وكاف جائز، وحسن مفهوم، وقبيح متروك. وقسمه بعضهم إلى ثلاثة، وأسقط الحسن، وقسمه آخرون إلى اثنين، وأسقط الكافي والحسن» [١]

ثم راح يفسر هذه الأقسام ويعرفها، تعريفات تكاد تتطابق مع ماقاله أبو جعفر النحاس من قبل [٢]. إلا أنه لم يشر إليه؛ عكس مافعل مع جمال الدين الفرغاني [٣].

ومع ذلك يرى أن هناك وقف الواجب [٤]: وهو قبل (والله)؛ ثم البدء به، في قوله عز وجل: (حذر الموت والله محيط بالكافرين) [٥] .

ولكن لم يعرفه أو يفسره. كما رأى هناك وقفا للتنزيه [٦] ؛ في قوله تعالى: (وهو الله) ثم البدء (في السموات والأرض يعلم سركم وجهركم) [٧] .

وربما كان قصده هنا تنزيه الحق تعالى عن المكان: على أن (لفظ الجلالة خبر للمبتدأ (هو)؛ غير متعلق بالمركبين الحرفيين بعده (في السموات وفي الأرض)؛ فيصير تعلقهما بالفعل (يعلم).

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١/ ٣٥٠.

(٢) انظر ص٥٣. ٥٤ من هذا الكتاب.

(٣) انظر: البرهان ١/ ٣٥٩ ـ ٣٦٢

(٤) انظر: المرجع نفسه ١/ ٣٥٤

(٥) سورة البقرة ٢/ ١٩

(٦) انظر: البرهان ١/ ٣٤٧

(٧) سورة الأنعام ٦/ ٣

ثم يتكلم عما يسميه المراقبة فى الوقف التام؛ «وهو أن يكون الكلام له مقطعان على البدل؛ كل واحد منهما إذا فرض فيه الوقف به وجب الوصل فى الآخر، وإذا فرض فيه الوصل وجب الوقف فى الآخر» [١] .

وفيما استشهد به الزركشى، نجد الآية الكريمة: «ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين» [٢] ورأى الوقف فيها على النحو التالى:

أ - ذلك الكتاب لاريب/ فيه هدى للمتقين.

ب - ذلك الكتاب لاريب فيه/هدى للمتقين.

جـ - ذلك الكتاب لاريب/فيه /هـدى للمتقين .

فالوقف فى الحالة الأولى عند (لاريب) يجعل الآية جملتين اسميتين، وجملة (لاريب) خبر للمبتدأ (ذلك) فى الجملة الأولى، والمركب الحرفى (فيه) خبر مقدم للمبتدأ (هدى) فى الجملة الثانية.

والوقف فى الحالة الثانية عند (فيه) يجعل هذا المركب الحرفى خبرا لـ(لا) النافية للجنس، أو متعلقا بالخبر المحذوف وجوبا (موجود). وتكون كلمة (هدى) خبرا لمبتدأ محذوف تقديره (هو)؛ يعود على الكتاب[٣].

على حين منع الزركشى الوقف على الموضعين معا (لاريب - فيه)؛ حيث يكون المركب الحرفى (فيه) واقعا بين وقف (لاريب) وابتداء (هدى).

وحينئذ يفرغ معناه؛ لانفصاله عما قبله ومابعده.

(١) البرهان ١/ ٣٦٥ وانظر: النشر فى القراءات العشر ١/ ٢٣٧، ٢٣٨

(٢) سورة البقرة ٢/٢

(٣) انظر: البرهان فى علوم القرآن ١/ ٥١

وقد أخذ مصطلح (المراقبة) لهذا الوقف من العروض[(١)] .

ثم يفطن الزركشي إلى سبب اختلاف تلك الأقسام والمسميات، وهو أن العلماء «صنفوا فيه تصانيف: فمنها ما أثروه عن النحاة، ومنها ماأثروه عن القراء، ومنها ما استنبطوه، ومنها ما اقتدوا فيه بالسنة فقط؛ كالوقف على أواخر الآي؛ وهي مواقف النبي صلى الله عليه وسلم[(٢)] ومع ذلك كله يقول: «الوقف على كل كلمة جائز، ووصل القرآن كله جائز»[(٣)] .

---

(١) انظر: النشر في القراءات العشر ١/ ٢٣٨

والإتقان في علوم القرآن ١/ ٨٧

والمراقبة في العروض هي تجاور سببين خفيفين في جزء واحد فقط، وقد سلم أحدهما وزحف الآخر، فلا يزاحف السببان المجتمعان ولا يسلمان من الزحاف، بل لابد من مزاحفة أحدهما وسلامة الآخر، وهي تحل في بحرين هما المضارع والمقتضب. انظر معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض ١٤٣.

(٢) البرهان في علوم القرآن ١/ ٣٥٤

(٣) المرجع نفسه ١/ ٩٨

٦ - أبو الخير بن الجزري (ت ٨٣٣هـ)

مر بنا أن لابن الجزرى كتابا مستقلا في الوقف والابتداء، لكنه لم يصل إلينا، وقد استوعب فيه أقسام الوقف وطبقها على القرآن الكريم كله. ثم خص ذلك فى كتاب آخر هو (النشر فى القراءات العشر)؛ الذى اعتمدنا عليه فى هذا العرض. يقول فى ذلك ابن الجزرى:

«أتيت على ماوقفت عليه من ذلك واستقصيته فى كتاب (الاهتدا إلى معرفة الوقف والابتدا)... ثم استوعبت أوقاف القرآن سورة سورة، وها أنا أشير إلى زبد ما فى الكتاب المذكور»[(١)] .

وبعد أن استعرض أقوال الأئمة السابقين عليه، قال:

«وأقرب ماقلته في ضبطه أن الوقف ينقسم إلى اختيارى واضطرارى»[(٢)] .

والسبب فى هذين التقسيمين هو أن «الكلام إما أن يتم أولا، فإن تم كان اختياريا»[(٣)] .

ثم يفصل هذين القسمين، فيرى أن القسم الأول؛ وهو الاختيارى منه منه التام والكافى والحسن. فالتام هو الذى «يوقف عليه ويبتدأ بما بعده، وليس له تعلق بما بعده ألبته؛ لامن جهة اللفظ ولامن جهة المعنى. وأكثر مايكون فى رؤس الآى وانقضاء القصص، نحو الوقف على (بسم الله الرحمن الرحيم)، والابتداء (الحمد لله رب العالمين)»[(٤)] .

وهذا التعريف يعنى استقلال الكلام الموقوف عليه عما بعده، دون تعلق

---

(١) النشر فى القراءات العشر ١/ ٢٢٤

(٢) المرجع نفسه ١/ ٢٢٥ والإتقان فى علوم القرآن ١/ ٨٥

(٣) النشر فى القراءات ١/ ٢٢٥ والإتقان في علوم القرآن ١/ ٨٥

(٤) النشر فى القراءات ١/ ٢٦١ والإتقان ١/ ٨٥.

بينهما فى اللفظ أو المعنى. وفى استشهاد ابن الجزرى على ذلك، بقوله تعالى: (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين)[١] . نرى أنهما آيتان منفصلتا؛ لكل منهما معناها الخاص، وتركيبها الخاص بها. فمعنى البسملة غير معنى الحمد. وذلك في رؤس الآيات، أما انقضاء القصص فقد أوردناه مشروحا عند تعرضنا للوقف التام عند ابن جزى[٢] ؛ وهو مقارب لما رآه ابن الجزرى هنا.

ويتعرض للوقف الكافى فيقول فيه:

«وإن كان له تعلق فلا يخلو هذا التعلق إما أن يكون من جهة المعنى فقط؛ وهو الوقف المصطلح عليه بالكافى؛ للاكتفاء به عما بعده، واستغناء مابعده عنه. وهو كالتام في جواز الوقف عليه والابتداء بما بعده، وهو يكثر فى الفواصل وغيرها، نحو (ومما رزقناهم ينفقون) وعلى (من قبلك) وعلى (هدى من ربهم)[٣] .

وهذا أيضا شبيه بما قاله السجاوندى فى الوقف الجائز، لكن ابن الجزرى جعل هذا الوقف مزدوجا بين الفواصل وغيرها. أى على رؤس الآيات كالوقف التام ووسط الآية، ولعل هذا الوقف حين يكون وسط الآية هو ما أشار إليه ابن الجزرى حين رأى أن الوقف الكافى «قد يتفاضل فى الكفاية كتفاضل التام»[٤] . ومثل بأول سورة البقرة. وذلك ماشرحناه عند حديثنا عن الوقف الجائز عند السجاوندى. وعليه فإن هذا الوقف الكافى هو نفسه الجائز السجاوندى، والحسن عند ابن جزى الكلبى[٥] ؛ مع مراعاة الاختلاف فى

(١) سورة الفاتحة ١/ ١، ٢

(٢) انظر ص ٨١، ٨٢ من هذا الكتاب.

(٣) انظر: النشر في القراءات ١/ ٢٢٦ ـ ٢٢٨ والإتقان ١/ ٨٥

(٤) النشر فى القراءات ١/ ٢٢٨ والإتقان ١/ ٨٥.

(٥) انظر ص ٧٤ من هذا البحث.

مدلول المصطلح (الكافى) عند ابن جزى وابن الجزرى.

فما قاله ابن الجزرى عند تعريف الوقف الكافى هو اكتفاء الكلام عما بعده، واستغناء مابعده عنه. أى إن المعنى فى (وما أنزل من قبلك) قد اكتفى عن معنى (وبالآخرة هم يوقنون). فالجملة الأولى أفادت معنى الإيمان بالكتب السابقة على القرآن، والثانية قد أفادت الإيمان والتيقن باليوم الآخر ومابعده من جنة أو نار. وكلا المعنيين مستقل عن الآخر، أو - بعبارة ابن الجزرى - المعنى الأول مكتف عما بعده، والثانى مستغن عما قبله.

ثم ينتقل إلى الوقف الحسن فيقول عنه:

«وإن كان التعلق من جهة اللفظ فهو المصطلح عليه بالحسن؛ لأنه فى نفسه حسن مفيد، يجوز الوقف عليه دون الابتداء بما بعده للتعلق اللفظى»[١] . ثم يمثل له بقوله: «نحو الوقف على (بسم الله) وعلى (الحمد لله)، ولكن الابتداء (الرحمن الرحيم) لايحسن لتعلقه لفظا[٢] .

ولعله يرى التعلق اللفظى بمعنى الإعراب، وبذلك يكون ماقاله عن هذا الوقف الحسن هو نفسه ماقاله ابن جزى الكلبى عن الوقف الكافى[٣] . فهو يمثل بالبسملة والآية التالية لها[٤] . فالمركب الجزئى (بسم الله) له معنى محدد هو البدء باسم الله، أما الوصف بعد ذلك (الرحمن الرحيم)؛ فهو متعلق بلفظ الجلالة (الله)؛ إذ هو صفة مجرورة له، ولاتنفصل الصفة عن موصوفها؛ حيث يكونان معا جزءا من أجزاء الجملة هو المركب الوصفى، ولذلك تتعلق الصفة بموصوفها في الإعراب والجنس والعدد والتعريف أو التنكير، ولايبدأ بها لحاجتها إلى موصوفها قبلها، وهذا هو التعلق اللفظى .

(١) النشر فى القراءات ١/ ٢٢٦ والإتقان في علوم القرآن ١/ ٨٥

(٢) النشر فى القراءات ١/ ٢٢٨، ٢٢٩

(٣) انظر ص٧١ من هذا البحث.

(٤) سورة الفاتحة ١/ ١، ٢

يلاحظ هنا التقارب الكبير بين الوقف التام والكافي، واختلاف الوقف الحسن عنهما. ومع ذلك يرى ابن الجزري أنه «قد يكون الوقف حسنا على تقدير، وكافيا على آخر، وتاما على غيرهما»[1] .

وقد يكون مرد ذلك إلى أن هذه الأنواع (تام - كاف - حسن) تتدرج تحت اسم (الوقف الاختياري).

أما الوقف الاضطراري فيقول عنه:

«وإن لم يتم الكلام كان الوقف عليه اضطراريا، وهو المصطلح عليه بالقبيح، لايجوز تعمد الوقف عليه إلا لضرورة من انقطاع نفس ونحوه؛ لعدم الفائدة، أو فساد المعنى نحو (صراط الذين)[2] »[3].

وهذا التعريف للوقف القبيح هو ماافتقدناه عند ابن جزي الكلبي؛ حين عرف الوقف التام والحسن والكافي، وترك تعريف القبيح[4] وهو - كما نرى - خلاف الوقف الاختياري بأقسامه الثلاثة، وقد علل تسميته بالقبيح لعدم وجود فائدة منه أو لفساد المعنى المراد. ثم مثل له بالوقوف على قوله تعالى (صراط الذين)؛ حيث لايفهم معنى مراد عند الوقوف على الضمير الموصول (الذين)؛ الذي لايتضح معناه إلا بوجود جملة الصلة وهو مافطن إليه ابن جزي الكلبي حين قال بعدم جواز [illegible] كل ذي موصول وصلته[5] . وماقلناه حينئذ يغنينا عن الإعادة هنا.

ثم يفصل إفساد المعنى وتغييره بقوله:

«قد يكون (الوقف القبيح) بعضه أقبح من بعض، كالوقف على مايحيل

---

(١) النشر في القراءات ١/ ٢٢٩ والإتقان [illegible] ٨٤

(٢) سورة الفاتحة ١/ ٧

(٣) النشر في القراءات ١/ ٢٢٦ والإتقان [illegible]

(٤) انظر ص ٧٧ من هذا البحث.

(٥) انظر ص ٦٩، ٧٠ من هذا البحث.

المعنى نحو (وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه)[١] . فإن المعنى يفسد بهذا الوقف؛ لأن المعنى أن البنت مشتركة في النصف مع أبويه، وإنما المعنى أن النصف للبنت دون الأبوين دون استئناف الأبوين بما يجب لهما مع الولد[٢] .

أي إن الوقف عند (ولأبويه) يجعل المعنى مختلفا عما هو مراد حقيقة، فالتركيب الحقيقي هو جملة (فلها النصف)، التي تتحول إلى تركيب جديد هو جملة (فلها النصف ولأبويه). ففي الجملة الأولى يعطف مورفيم الواو جملة على أخرى، وفي الحالة الثانية يعطف المورفيم نفسه مركبا حرفيا على آخر مثله، وهما (فلها - لأبويه) وهي حالة الوقف القبيح.

في الحالة الأولى نجد التركيب (لأبويه) ليس معطوفا على مركب (فلها)، بل هو داخل في إطار جملة جديدة هي (ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد). وهنا نجد أن هذا المركب (لأبويه) واقع جملة جواب الشرط للأداة (إن). وبذلك تكون كلمة (السدس) مبتدأ الخبر (لأبويه)، الذي بدل منه بدل اشتمال مركب (لكل واحد منهما). ومن ثم لايتعلق المبتدأ (النصف) بالمركب (لأبويه). أما الوقوف عند (ولأبويه) فيجعله مشتركا في المبتدأ (النصف) مع المركب (فلها). وهو مالايراد من الآية الكريمة، وسماه ابن الجزري إفساد المعنى.

وبنظرة فلسفية تشبه مافعله النحاة العرب يستعرض صاحب النشر الآية الكريمة «وقالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله[٣]، فيقول: الوقف على(عزير ابن) و(المسيح ابن) قبيح، والابتداء ب (ابن)

(١) سورة النساء ٤/ ١١ ولطول الآية نورد هنا جملتي الشرط المفهوم منهما المراد، وهما: «وإن كانت واحدة لها النصف، ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد».

(٢) النشر في القراءات العشر ١/ ٢٢٩ وانظر الإتقان في علوم القرآن ١/ ٨٥، ٨٦

(٣) سورة التوبة ٩/ ٣٠. والآية كاملة هي «وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله، ذلك قولهم بأفواههم، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل، قاتلهم الله أنى يؤفكون»

أقبح، والابتداء بـ (عزير) و(المسيح) أقبح منهما[١] .

حيث يتخيل مواضع يوقف عندها، وأخرى يبتدأ بها، على النحو التالى:

أ - الوقف: فى موضعين هما:

- وقالت اليهود عزير ابن

- وقالت النصارى المسيح ابن

وسمى الوقف فى هذين الموضعين قبيحا؛ ذلك لأن المفهوم هنا هو إسناد البنوة لعزير والمسيح عليهما السلام؛ دون تحديد المراد من هذه البنوة؛ لمن تكون!

ب - الابتداء: فى موضعين هما:

- ابن الله وقالت النصارى المسيح.

- ابن الله ذلك قولهم بأفواههم.

وقد جعل هذين الابتداءين أقبح من الوقف في الموضعين السابقين؛ إذ إنه هنا أضيفت البنوة إلى الله تعالى، دون تحديد المراد منها؛ أى من يكون الابن؟! وذلك ماينافى العقيدة تماما.

جـ - الابتداء: فى موضعين آخرين هما:

- عزير ابن...

- المسيح ابن ...

حيث حكم بأنه أقبح من المواضع السابقة فى الوقف والابتداء. حيث أسندت البنوة صراحة إلى عزير والمسيح (عليهما السلام) ثم أضيفت إلى الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا.

ولعلنا هنا يمكننا أن نحكم على هذه النظرة فى هذه الآية الكريمة بالفلسفة والألاعيب المنطقية التى لايمكن أن تتحق في الواقع اللغوى. بل إنه يصطنع هذه الألاعيب ويتخيل وقفا أو ابتداء لايمكن أن يتحول من دائرة الكفاءة إلى

---

(١) النشر في القراءات ١/ ٢٣٠ والإتقان ١/ ٨٦

الأداء، فهذه الوقوف يمكن أن تختزن في الذهن فقط، أما أن تتحول واقعا لغويا منطوقا؛ فهو مالانظن أن يحدث أبدا. ولعله بذلك يشبه النحاة العرب حين تخيلوا أوزانا منطقية في الصرف العربي مع علمهم أنها لاتوجد في الواقع اللغوى المنطوق(١).

يتعرض ابن الجزرى بعد ذلك لما لم يتناوله أحد ممن تكلموا عن الوقف والابتداء غيره، فيرى أن «الابتداء لايكون إلا اختياريا؛ لأنه ليس كالوقف تدعو إليه ضرورة، فلا يجوز إلا بمستقل بالمعنى، موف بالمقصود. وهو فى أقسامه كأقسام الوقف الأربعة، ويتفاوت تماما وكفاية وحسنا وقبحا؛ بحسب التمام وعدمه وفساد المعنى وإحالته»(٢).

لعل ابن الجزرى هو الوحيد - فيما نعلم - الذى تكلم عن الابتداء ورآه اختياريا فقط. إذ ليست هناك حاجة تدعو المتكلم أو تضطره إلى البدء بجملة ما أو كلمة فيها. ومع ذلك فقد قسمه إلى تام وحسن وكاف وقبيح، وبين أن العلة في هذا التقسيم هي تمام المعنى أو عدمه وفساده أو تحويله إلى معنى آخر.

وقد مثل لهذه الأقسام المتفاوتة فى قوله:

«الوقف على (ومن الناس) فإن الابتداء بـ (الناس) قبيح، و(يؤمن) تام، فلو وقف على (من يقول) كان الابتداء بـ (يقول) أحسن من ابتدائه بـ (من)...»(٣).

إنه هنا يشير إلى قوله تعالي:

«ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين»(٤).

ويرى أن الابتداء بأنواعه هذه، يمكن أن يتحقق على النحو التالى:

(١) انظر المنصف شرح التصريف ١/ ١٧ - ٢٨
وطبقات النحويين واللغويين ٢١٩، ٢٨.
(٢) النشر فى القراءات ١/ ٢٣. والإتقان ١/ ٨٦
(٣) النشر فى القراءات ١/ ٢٣. والإتقان ١/ ٨٦
(٤) سورة البقرة ٢/ ٨

١ - الناس من يقول آمنا...

سمى ذلك ابتداء قبيحا، وذلك لأنه فصل بين ركنى المركب الحرفى (من الناس)، وهو مالا يمكن فى اللغة[١].

٢ - يقول آمنا بالله وباليوم الآخر.[٢]

يراه ابتداء أحسن من ابتدائه بـ (من) فى:

٣ - من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر.

وقال عنه إنه أقل حسنا من الابتداء بـ (يقول) فى الآية نفسها. ولعل ذلك لأن (من) هنا - فى الابتداء بها - تحتمل الموصولية والشرطية والاستفهام، وهو مايسمى اللبس Impiguos .ولايفرق بين هذه الاحتمالات إلا السياق والإلقاء.

فالسياق هو الذي يفرق بين (من) الشرطية والنوعين الآخرين، إذ إنه لابد لها من جملة جواب؛ إذا اعتبرنا أن جملة (يقول) هى جملة الشرط؛ مع ملاحظة وجوب جزم الفعل (يقول) ليصير (يقل). وهو مالا وجود له في الآية. والإلقاء أو التنغيم I ntonation هو الذى يفرق بين (من) الاستفهامية أو الموصولية. ولهذا جعل ابن الجزرى ذلك الابتداء أقل حسنا من الابتداء بالفعل (يقول)؛ حيث لالبس فيه.

ومع ذلك يظل ماقلناه عن الوقف منطبقا على الابتداء؛ حيث تخيل ابن الجزرى مواضع يمكن الابتداء بها؛ مع أنها غير موجودة فى الواقع اللغوى

---

(١) لعل ذلك هو ما قاله ابن جزى الكلبى من عدم الفصل بين العامل ومعموله. انظر ص ٦٦ من هذا الكتاب.

(٢) أورد ابن الجزرى ابتداء آخر، جعله تاما، ويبد أب (يؤمن). وليس فى الآية التي نحن بصددها هذه الكلمة (يؤمن)، كما لا توجد في الآيات السابقة لها، أو اللاحقة بها. ولعله أراد كلمة (آمنا)، فى الآية نفسها، يدل على ذلك أنه سماه ابتداء تاما، إذ إنه جعل (يؤمن) جملة فعلية كل أركانها موجودة، وهى: آمنا بالله وباليوم الآخر. ويصح أن تنقل هذه الجملة من مقول القول لهؤلاء المنافقين إلى عموم الابتداء بها، لتعبر عن حال قائلها، ولذلك جعلها ابن الجزرى ذات ابتداء تام. وقد نقل السيوطى نص ابن الجزرى، ولم يصحح كلمة (يؤمن).

المنطوق[(١)] .

ثم أورد بعض الملاحظات على الوقف، منها:

أ - قد يغتفر فى طوال الفواصل والقصص والجمل المعترضة؛ ونحو ذلك، وفى حالة جمع القراءات، وقراءة التحقيق والترتيل؛ مالا يغتفر فى غير ذلك - فربما أجيز الوقف والابتداء لبعض ماذكر، ولو كان لغير ذلك لم يبح[(٢)] .

إنه يرى هنا أن الوقف يمكن أن يتحقق وسط الآية إن طالت، كآيات سورة البقرة[(٣)] وآل عمران والنساء والمائدة. كما يراه ممكنا أثناء سرد أحداث قصة معينة؛ كقصة يوسف أو موسى أو ابراهيم عليهم السلام. كما يراه ممكنا أيضا بين الجمل المعترضة؛ كجملة (لو تعلمون) فى الآية: (وإنه لقسم - لو تعلمون - عظيم)[(٤)] ؛ حيث اعترضت هذه الجملة بين الموصوف وصفته. ويبيحه أيضا عند قراءة كلمة ما بقراءتين مختلفتين؛ وأظن أن الوقف هنا يكون لإظهار الفرق بين المعنى فى كل قراءة على حدة. كمن يقف على كلمات (السماء - الأرض) يظهر تحقيق الهمزة مرة، وتسهيلها مرة أخرى. وكمن يقف على جملة (ربنا باعد)[(٥)] ليقرأها مرة برفع ربنا على الابتداء، وبناء الفعل (باعد) علي الفتح لاعتباره ماضيا[(٦)] ، ومرة بنصب (ربنا) على النداء المحذوف

(١) انظر ص٦٣ من هذا الكتاب.
(٢) النشر فى القراءات ١/ ٢٣٦ والإتقان ١/ ٨٦
(٣) فى سورة البقرة أطول آية في القرآن كله، هي آية الدين، ورقمها ٢٨٢ وتحتوي على أربعين جملة ذات مواقع وظيفية مختلفة.
(٤) سورة الواقعة ٥٦/ ٧٦
(٥) سورة سبأ ٣٤/ ١٩ والآية كاملة هى:
«فقالوا ربنا باعدبين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلنا هم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور »
(٦) وهى قراءة يعقوب بن اسحاق الحضرمى. انظر: النشر فى القراءات ١/ ٢٧ والبدور الزاهرة في القراءات العشر ٢٥٨ وإتحاف فضلاء البشر ٣٨٦/٢

أداته، وبناء الفعل (باعد) على السكون؛ لاعتباره فعل أمر[١] . ويبيح الوقف أيضا عند الترتيل والتحقيق[٢] ، وأظن أنه يقصد بذلك القراءة بهاتين الكيفيتين للتعليم.

ثم يربط كلامه هذا بما قاله ابن طيفور؛ حيث يرى أن الوقف فى هذه الحالات السابقة هو ماذكره السجاوندى فيما سماه (المرخص ضرورة) [٣] .

ب - لابد من مراعاة الازدواج في المعنى، فيصل القارئ مايقف على نظيره التام يقول فى ذلك: «ربما يراعى فى الوقف الازدواج، فيوصل مايوقف على نظيره؛ مما يوجد التمام عليه، وانقطع تعلقه بما بعده لفظا. وذلك من أجل ازدواجه نحو: (لها ماكسبت) مع (ولكم ماكسبتم)[٤] ، ونحو: (لها ماكسبت) مع (وعليها ما اكتسبت)[٥] ».[٦]

ثم ينسب الفضل إلى أهله، فيعزو اختيار هذا الوقف في الأزدواج إلي نصير بن محمد ومن تبعه من أئمة الوقف[٧] .

ولعله هنا يقصد بالازدواج تقارب دلالة الجمل (لها ماكسبت - لكم

---

(١) وهى قراءة عاصم ونافع والكسائى انظر: النشر فى القراءات ١/ ٢٧ والبدور الزاهرة في القراءات العشر ٢٥٨ وإتحاف فضلاء البشر ٢/٣٨٦

(٢) للقرآن الكريم كيفيات مختلفة فى قراءته، منها الترتيل والحدر والتدوير والتحقيق والتجريد. فالترتيل هو قراءته بتمهل وفصل حروف كلماته بعضها عن بعض. والتحقيق هو المبالغة في إظهار الحروف، وتوفية نطقها وإتمام القصر والمد والغنة، والترسل دون مجاوزة الحد.

انظر النشر فى القراءات ١/ ٢٠٥ - ٢١٣

(٣) انظر: المرجع نفسه ١/ ٢٣٦ والإتقان في علوم القرآن ١/ ٨٦ وص من هذا الكتاب.

(٤) سورة البقرة ٢/ ١٣٤، ١٤١ والآية كاملة هى:

«تلك أمة قد خلت لها ماكسبت ولكم ماكسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون».

(٥) سورة البقرة ٢ - ٢٨٦، ولطول الآية نورد الجزء الذى يوضح ما نريد، وهو: «لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت».

(٦) النشر في القراءات ١/ ١٣٧ والإتقان في علوم القرآن ١/ ٨٦، ٨٧

(٧) انظر: النشر فى القراءات العشر ١/ ٢٣٧ والإتقان فى علوم القرآن ١/ ٨٧

ماكسبتم - لها ماكسبت - عليها ما اكتسبت). فقد تكرر الفعل (كسب) فى الآية الأولى وتكرر في الآية الثانية: مع زيادة تاء الافتعال؛ التى أعطت معنى المشقة والتعب. كما أن الكلمة التى يعود عليها الضمير المؤنث؛ الذى دلت عليه تاء التأنيث فى الفعل؛ هى (الأمة) فى الآية الأولى، و(النفس) فى الآية الثانية.

هذا من ناحية الدلالة، أما الإعراب فهو متفق، حيث إن كل جملتين في كلتا الآيتين السابقتين؛ اسمية مقدم خبرها وجوبا على المبتدأ؛ الذى هو الضمير الموصول (ما). والخبر هو المركب الحرفى؛ مورفيم الجر مع الضمير المجرور محلا.

ويختم ابن الجزرى كلامه عن الوقف بأن هذه الحالات التى صرح فيها بالوقف تصح فيما أريد له «إلا من يقصد بذلك تحريف المعنى عن مواضعه، وخلاف المعنى الذى أراد الله تعالى، فإنه - والعياذ بالله - يحرم عليه ذلك ويجب ردعه»[1] .

---

(١) النشر فى القراءات العشر ١/ ٢٣٠، ٢٣١
والإتقان في علوم القرآن ١/ ٨٦

٧ ـ جلال الدين السيوطى (ت ٩١١هـ)

لم يرد للسيوطى رأى خاص به فى تعريف الوقف أو تقسيمه إلى أنواع معينة، بل كان جل مافعله هو عرضه آراء متناثرة لأولئك الذين بحثوا هذا الموضوع. حيث أورد آراء أبى جعفر النحاس وابن الأنبارى والزجاجى وأبى عمرو الدانى وأبى الحسن العمانى وابن طيفور السجاوندى وأبى الخيرين الجزرى، وقد أفاض فيما قاله ابن الجزرى بصفة خاصة[١] .

وذلك لاينتقص من قيمة السيوطى العلمية، بل يزيده إجلالا؛ حيث التزم الأمانة العلمية، فرد كل رأى إلى صاحبه. وتلك ميزة يمتاز بها السيوطى في كل كتبه، لافى هذا الموضوع فقط.

وبذلك حفظ لنا كثيرا من الآثار العلمية؛ متمثلة فى آراء أصحابها، من الضياع، فكتاب السجاوندى مثلا لم يصل إلينا، أما آراؤه فقد نقلها السيوطى عنه. ولكن لم يفاضل السيوطى بين هذه الآراء؛ ليرجح بعضها على بعضها الآخر، بل كان يذكرها فقط دون نقد أو تمحيص.

كما يلاحظ أنه لم يذكر شيئا عن الزركشى ـ وهو سابق له بقليل، مع التشابه بين كتاب البرهان وكتاب الإتقان ـ بل تغافله تماما. يظهر ذلك فى نقله فقرات وآراء منه؛ دون الإشارة إليه، ومن ذلك مانقله عن أبى يوسف صاحب أبى حنيفة ورأيه في الوقف فى القرآن الكريم[٢] .

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن ١/ ٩٣ ـ ٩٠.

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن ١/ ٣٥٤ والإتقان ١/ ٨٧

٨ ـ الأشموني[1]

سبق أن عرفنا أن لأحمد بن عبد الكريم الأشمونى كتابا فى الوقف هو (منار الهدى فى بيان الوقف والابتدا). وقد استقصى فيه القرآن الكريم كله، متتبعا مواضع الوقف فيه وتسمياتها. ونأخذ من ذلك تقسيمه الوقف إلى خمسة أقسام هى:

١ ـ تام أو أتم.

٢ ـ كاف أو أكفى.

٣ ـ حسن أو أحسن.

٤ ـ صالح أو أصلح.

٥ ـ قبيح أو أقبح[2].

وهذه الأقسام رأيناها ـ كما هى ـ عند أبى جعفر النحاس[3]

غير أن الأشمونى فاضل بين هذه الأقسام؛ دون أن يعرفها. حيث قال: «فالكافى والحسن يتقاربان، والتام فوقهما، والصالح دونهما فى الرتبة»[4]. ثم أجمل ذلك كله فقال: «فأعلاها الأتم ثم الأكفى ثم الأحسن ثم الأصلح، ويعبر عنه بالجائز»[5].

والملاحظ هنا أن الأشمونى قد استخدم صيغة التفضيل (أفعل) بجانب صيغة الوصف الأصلية؛ التى تراوحت بين صفة الفاعل (صالح ـ تام ـ كاف)، والصفة المشبهة (حسن ـ قبيح). ولعل السبب فى ذلك هو أن كل قسم من

---

(١) وهو غير أبى الحسن على محمد الأشمونى (ت ٩٢٩هـ) النحوى، صاحب الشرح المعروف على ألفية ابن مالك.

(٢) منار الهدى ١.

(٣) انظر ص٤٩ من هذا الكتاب.

(٤) منار الهدى ١.

(٥) المرجع نفسه ١.

هذه الأقسام يفضل مابعده، كما قال هو: «فأعلاها الأتم ثم الأكفى ثم الأحسن ثم الأصلح»[١] .

أى إن التام أتم من الكافى الذي هو أكفى من الحسن، والحسن أحسن من الصالح الذى هو أصلح من القبيح، والقبيح قد بلغ الدرجة فى عدم حسنه وصلاحيته؛ ولذلك فهو أقبح.

ويغنينا عن تفصيل هذه الأقسام وشرحها ماسبق قوله عند أبى جعفر النحاس وابن الأنبارى؛ حيث اعتمد عليهما[٢].

لكن الذى امتاز به الأشمونى هو عرضه لما سماه وقف البيان، الذى عرفه بقوله: «وقف البيان هو أن يبين معنى لايظهر بدونه؛ كالوقف على قوله تعالى: (وتوقروه)؛ فرق بين الضميرين، فالضمير فى (توقروه) للنبى صلى الله عليه وسلم، وفي (تسبحوه) لله تعالى. والوقف أظهر هذا المعنى المراد»[٣]

وقد سبقه إلى بيان هذا الوقف فى هذا الموضع بعينه أبو الخير بن الجزرى، الأشمونى أطلق عليه اسم (وقف البيان)، في حين سماه ابن الجزرى (وقفا حسنا)[٤].

المهم أن الآية المستشهد بها هى قوله عز وجل:

«لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا»[٥] .

حيث إن ضمير الفعولية (الهاء) في الفعلين (تعزروه - توقروه) يعود على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما الضمير نفسه (الهاء) فى (تسبحوه) فيعود على الحق سبحانه وتعالى. فإن وصل القارئ كل هذه الجمل فهم أن

(١) المرجع السابق ١٠.
(٢) انظر منار الهدى ٩
(٣) المرجع نفسه ١٠.
(٤) انظر النشر في القراءات ١/ ٢٣٣
(٥) سورة الفتح ٤٨/٩

المعنى واحد؛ أي إعادة مورفيم المفعولية في الجمل الثلاث على مسمى واحد، وبخاصة أن هذه الجمل كلها مشتركة من الناحية التركيبية. فالفعل فيها مضارع بمورفيم المضارعة (التاء)، والفاعل مورفيم (الواو) لجمع المذكر السالم، والمفعول به مورفيم (الهاء) المذكر المفرد الغائب، كما أن الفعل بهذه الصيغة من الأفعال الخمسة المنصوبة بحذف النون.

ولذلك أجاز الأشمونى الوقف بعد جملة (توقروه)، والبدء بجملة (تسبحوه) للتفريق بين المفعولين من الناحية الدلالية.

ثم يدلى الأشمونى بجملة - لعلها هى فصل الخطاب فى الموضوع كله - هى قوله: "وجميع ماذكروه من مراتبه غير منضبط ولامنحصر؛ لاختلاف المفسرين والمعربين" [(١)].

كما ذهب أبو يوسف القاضى صاحب أبى حنيفة «إلى أن تقدير الموقوف عليه من القرآن بالتام والناقص والحسن والقبيح، وتسميته بذلك بدعة، ومعتمد الوقف على نحوه مبتدع؛ لأن القرآن معجز وهو كاللفظة الواحدة: فكله قرآن وبعضه قرآن، وكله تام حسن، وبعضه تام حسن» [(٢)].

ولعل تلك الجملة - عند الأشمونى - وماقاله أبو يوسف يؤكدان أن اصطلاحات الوقف والابتداء لم تؤخذ سماعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو الصحابة - رضى الله عنهم بل هى اجتهادية من هؤلاء العلماء، ولذلك اختلفوا في الاصطلاح والتقسيم.

(١) منار الهدى ٩ والإتقان فى علوم القرآن ١/ ٨٧
(٢) البرهان في علوم القرآن ١/ ٣٥٤

الفصل الخامس

علاقة الوقف بغيره من العلوم

إذا كان القرآن الكريم كلاما فصيحا قد بلغ أعلى مستوى لغوي؛ بحيث يقاس عليه كل ماعداه من كلام العرب، فهو مكون من فونيمات تنضم معا لتكون مورفيمات وكلمات، وهذه بدورها تكون - معا - مركبات وجملا. ولذلك فإن الوقف عند كلمة معينة، لابد أن يكون له هدف لغوي؛ يؤدى معنى معينا. وهذا المعنى لابد أن يتحرى ماورد في علوم القرآن؛ كالتفسير والقراءات والنحو والفقه.

فلا يكن الوقف جزافا، بل يعتمد على القراءات القرآنية، وقواعد اللغة في نحوها، وما أثر عن الأولين في تفسير الآيات المباركة، أى إنه «لايقوم بالتمام إلا نحوى عالم بالقراءة، عالم بالتفسير، عالم بالقصص وتلخيص بعضها من بعض، عالم باللغة التى نزل بها القرآن»[(١)] .

كما "يحتاج إلى المعرفة بالنحو وتقديراته»[(٢)] .

وفيما يلى نتكلم عن هذه العلاقة، موردين بعض الآيات التى من خلال الوقف على أجزاء منها؛ تظهر هذه العلاقة، حيث يختلف المعنى تبعا للتفسير، أو الفقه أو الإعراب، أو القراءات.

---

(١) القطع والائتناف ١/ ٢١ والبرهان في علوم القرآن ٣٤٣/١

(٢) القطع والائتناف ٢٢/١

الوقف والقراءات

القراءات هى كيفية قراءة القرآن الكريم بأكثر من وجه حسبما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهى قسمان:

القراءة الصحيحة:

وهى ماتوافر فيها شروط ثلاثة:

أ - صحة سندها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ب - مطابقتها لخط المصحف.

جـ - مطابقتها لقواعد اللغة العربية فى نحوها ودلالتها وصرفها وصوتها.

القراءة الشاذة:

وهى ماافتقدت شرطا من الشروط السابقة.

والقراءات الصحيحة سبعة؛ أصحابها هم:

١ - عبد الله بن عامر (ت ١١٨ هـ).

٢ - عبد الله بن كثير (ت ١٢٠ هـ).

٣ - عاصم بن أبى النجود (ت ١٢٨هـ).

٤ - أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ).

٥ - حمزة الزيات (ت ١٥٦هـ).

٦ - نافع بن أبى نعيم (ت ١٦٩هـ)

٧ - على بن حمزة الكسائى (ت ١٨٩ هـ). (١)

وفي النص التالي لابن الجزرى نحاول بيان علاقة الوقف بالقراءات؛ حيث يقول:

(١) انظر: النشر في القراءات العشر ٩/١ وما بعدها.
والبرهان في علوم القرآن ١/ ٣٢٧ - ٣٢٩

«ولابد من معرفة أصول مذاهب الأئمة القراء فى الوقف والابتداء؛ ليعتمد فى قراءة كل مذهبه. فنافع كان يراعى محاسن الوقف والابتداء بحسب المعنى.... وابن كثير روينا عنه نصا أنه كان يقول: إذا وقفت فى القرآن على قوله تعالى: (ومايعلم تأويله إلا الله) وعلى قوله (ومايشعركم) وعلى (إنما يعلم بشر)، لم أبال بعدها وقفت أم لم أقف. وهذا يدل على أنه يقف حيث ينقطع نفسه، و... كان يراعى الوقف على رؤس الآى مطلقا؛ ولا يتعمد فى أوساط الآى وقفا سوى هذه الثلاثة المتقدمة.

وأبو عمرو فروينا[1] عنه أنه كان يتعمد الوقف على رؤس الآى، ويقول هو أحب إلى، وذكر عنه الخزاعى أنه كان يطلب حسن الابتداء. وذكر عنه أبو الفضل الرازى أنه يراعى حسن الوقف.

وعاصم ذكر عنه أبو الفضل الرازى أنه كان يراعى حسن الابتداء، وذكر الخزاعى أن عاصما والكسائى كانا يطلبان الوقف من حيث يتم الكلام.

وحمزة اتفقت الرواة عنه أنه كان يقف عند انقطاع النفس. فقيل لأن قراءته التحقيق والمد الطويل، فلا يبلغ نفس القارئ إلى وقف التمام، ولا إلى الكافى. وعندى أن ذلك من أجل كون القرآن عنده كالسورة الواحدة، فلم يكن يتعمد وقفا معينا، ولذلك أثر وصل السورة بالسورة، فلو كان من أجل التحقيق لآثر القطع على آخر السورة. والباقون من القراء كانوا يراعون حسن الحالتين وقفا وابتداء»[2].

من هذا النص يتبين لنا أن لكل من القراء مذهبه فى الوقف والابتداء، وقد ذكر ستة من أصحاب القراءات الصحيحة وهم:

---

(١) هكذا في الأصل (فروينا)، ولا يستقيم الكلام إلا فى حالتين هما:
أ ـ وأما أبو عمرو فروينا..
ب ـ وأبو عمرو روينا ...

(٢) النشر فى القراءات العشر ١ / ٢٢٨

«نافع بن أبى نعيم - عبد الله بن كثير - أبو عمرو بن العلاء - عاصم بن أبى النجود - حمزة الزيات - على الكسائى»

فالإمام نافع فقد كان يراعى الوقف الحسن والابتداء الحسن، ولاندرى بأى مقياس كان الحسن عنده؛ بمقياس السجاوندى أو النحاس أو غيرهما؟ كما لم يثل ابن الجزرى لهذا الوقف الحسن عنده. ولعله كان يستحسن المعنى فيقف، ويبتدئ بمعنى حسن آخر..

وعبد الله بن كثير ألزم نفسه الوقف عند ثلاثة مواضع فى القرآن العظيم كله، وهى:

الموضع الأول:

قوله تعالى: «ومايعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون أمنا به كل من عند ربنا»[1] .

فهو يلزم الوقف عند لفظ الجلالة (الله)، وبذلك ينتهى معمول الفعل (يعلم) عند لفظ الجلالة الذى هو فاعله، وتصير الجملة الثانية اسمية مستأنفة بالواو غير متعلقة بالفعل (يعلم) أو بمعموله. أما إن وصل فتصير الواو عاطفة لا استئنافية، ويعطف (الراسخون) على لفظ الجلالة (الله)[2] . وهو مالم يرده ابن كثير، بل أراد قصر العلم في الفصل (يعلم) على لفظ الجلالة فقط.

الموضع الثانى:

قوله سبحانه: «ومايشعركم إنها إذا جاءت لايؤمنون»[3] .

حيث يلزم الوقف عند جملة (يشعركم)؛ ليربطها بما قبلها، وهو قوله عز اسمه: «قل إنما الآيات عند الله ومايشعركم»

(١) سورة آل عمران ٣/٧

(٢) انظر: معانى القرآن ١/ ١٩١وإملاء مامن به الرحمن ١/ ١٢٤

(٣) سورة الأنعام ٦/ ١٠٩

وبذلك يرتبط الفعل (يشعر) بوجود الآيات عند الله. ويبتدئ بعدها بكسر همزة (إنها)؛ لتصير جملة جديدة غير متعلقة بالفعل (يشعر). وبذلك فإن هذا الجزء من الآية ينقسم قسمين هما:

أ - قل إنما الآيات عند الله ومايشعركم.

ب - إنها إذا جاءت لايؤمنون.

أما إن استأنف بـ (ومايشعركم) فسوف تفتح همزة (إن)؛ لارتباطها بالفعل (يشعر)، ويصير الفعل (يشعر) متعلقا بالجملة بعده أي بتحقق الإيمان من عدمه عند مجئ الآيات. وهو مالايريده ابن كثير[1].

الموضع الثالث:

قوله تعالى: «ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذين يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين»[2].

فهو يلزم الوقف على جملة: (إنما يعلمه بشر)، ويستأنف بقية الآية بالجملة الاسمية: (لسان الذى يلحدون إليه أعجمى).

---

(١) انظر: معانى القرآن ١/ ٣٥٠ وإملاء ما من به الرحمن ١/٢٥٧
ولعل الوقف عند (وما يشعركم) وكسر همزة (إن) أووصلها وفتح الهمزة، يذكرنا بما دار بين المبرد والخليفة المتوكل بشأن هذه الآية، وملخص الحادثة أن الخليفة المتوكل قرأ قوله سبحانه: «وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون «بالفتح، فاختلف معه الفتح بن خاقان، حيث رآها بالكسر (إنها). وبعثا للمبرد (ت ٢٨٦هـ) يستفتيانه، فدخل المبرد على الفتح ابن خاقان، وقال له (إنها) بالكسر «ذلك أن أول الآية (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم).
ثم قال تبارك وتعالى يا محمد - صلى الله عليه وسلم: «إنها إذا جاءت لا يؤمنون) باستئناف جواب الكلام المتقدم». ثم دخل مع الفتح على الخليفة المتوكل، فسأله الأخير عن الصواب: أهو الفتح أم الكسر: فقال المبرد له: أكثر الناس يقرؤها بالفتح.
فلما عاتبه الفتح بن خاقان قال له: «قلت أكثر الناس يقرؤها بالفتح، وأكثرهم على الخطأ، وإنما تخلصت من اللائمة، وهو أمير المؤمنين».
انظر: طبقات النحويين واللغويين ١٠١ - ١٠٣.

(٢) سورة النحل ١٦/ ١٠٣

وذلك لأن جملة (إنما يعلمه بشر) فى محل نصب مقول القول الذى قاله الكفار، على حين أن جملة (لسان الذى...) رد من الله سبحانه وتعالى عليهم، وليست من كلامهم؛ بل هى لتكذيبهم فى زعمهم هذا[(١)] .

ولو وصلت الجملتان لتوهم أن الأولى مقول القول، والثانية تفسيرية تابعة لها من كلام الكفار أيضا. وهو مالايراد من الآية. أى إنه أراد بالوقف هنا الفصل بين ماقاله الكفار ورد الحق تعالى عليهم.

ثم يستنتج ابن الجزرى من ذلك أن ابن كثير كان يقف حيث ينقطع نفسه؛ فى غير هذه المواضع، وهو ماسماه ابن الجزرى الوقف الاضطرارى[(٢)] ، وسماه السجاوندى المرخص ضرورة[(٣)] . وأنه لم يكن يتعمد الوقف في أوساط الآيات، إلا فى تلك الآيات الثلاثة المتقدمة.

وأبو عمرو بن العلاء يقف على رؤس الآيات، ويطلب حسن الوقف والابتداء، أي إنه مشابه في حسن وقفه وابتدائه لنافع بن أبى نعيم. وعاصم بن أبى النجود يقف حيث يتم الكلام، ويطلب حسن الابتداء. وكذلك على بن حمزة الكسائى يقف حيث يتم الكلام.

وحمزة الزيات يقف عند انقطاع النفس. وهو بذلك يشبه طريقة ابن كثير؛ وذلك لاتباع الأول طريقة التحقيق والترتيل فى قراءته، فلا يبلغ نفسه الوقف التام ولا الكافى. ويفسر ابن الجزرى علة الوقف عند حمزة بأن القرآن الكريم كله مرتبط بعضه ببعض، فهو كالسورة الواحدة؛ ولذلك لم يكن يتعمد حمزة وقفا معينا، بل كان يصل السورة بما بعدها.

ثم يحمل ابن الجزرى مذاهب القراء فى الوقف والابتداء فيقول: «والباقون

---

(١) انظر التفسير الوسيط ٢/ ٦٨١ وتفسير القرطبى ١٠/ ١٧٧ - ١٧٩

(٢) انظر: ص ٨٤ من هذا الكتاب.

(٣) انظر ص ٦٤ - ٦٣ من هذا الكتاب.

من القراء يراعون حسن الحالتين وقفا وابتداء»[١] .

أى إنهم يراعون الوقف الحسن والابتداء الحسن، وهو ماراعاه نافع وعاصم وأبو عمرو والكسائى.

ولانعلم لماذا ذكر ابن الجزرى ستة فقط من أئمة القراء؛ مع أن أقل عدد من القراءات الصحيحة سبع؛ كما ذكر هو[٢] . إلا أن يكون لكل من هؤلاء الستة مذهب معين فى الوقف والابتداء، مع اتفاق الباقين في مراعاة حسن الحالتين. ومع ذلك فإن هذه المراعاة تمثل العامل المشترك بين القراء جميعا.

(١) النشر في القراءات العشر ١/ ٢٣٨
(٢) المرجع نفسه ١/ ٨

الوقف والتفسير

يعنى التفسير بكيفية فهم الآيات القرآنية، وأسباب نزولها، ومعانيها، وأحكامها، ومقاصدها التى ترمى إليها؛ وذلك بالرواية أو الدراية[١].. وهذه المعانى والمقاصد تتعلق بتركيب الجملة؛ الذى يختلف حسب الوقف والابتداء. ولنأخذ بعض الأمثلة التى تبين اختلاف التفسير باختلاف الوقف.

ففى قول الله عز وجل: «قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين»[٢] .

من وقف على جملة (فإنها محرمة عليهم)، وبدأ بجملة (أربعين سنة يتيهون فى الأرض) فهم أن مدة التحريم مطلقة؛ مع تحديد التيه بأربعين سنة. ومن وقف على جملة (فإنهم محرمة عليهم أربعين سنة) وبدأ بجملة (يتيهون فى الأرض) حدد مدة التحريم بأربعين سنة، وأطلق مدة التيه فى الأرض وكما نرى يختلف التفسير طبقا للوقف والابتداء[٣] .

ولاندرى لماذا أجاز أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ) كلا الوقفين؛ دون مراعاة المعنى المقصود بتحديد زمن التيه أو زمن التحريم، حيث يقول:

«(أربعين سنة) منصوبة بالتحريم، ولو قطعت الكلام فنصبتها بقوله (يتيهون) كان صوابا»[٤] .

لعله نظر نظرة لغوية صرفة؛ إلى تركيب الجملة، دون معناها. وفى قوله سبحانه:«وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص»[٥] .

---

(١) انظر الإتقان فى علوم القرآن ٢/ ١٧٣ والبرهان فى علوم القرآن ١/ ١٣
(٢) سورة المائدة ٥/ ٢٦
(٣) انظر تفسير القرطبى ٦/ ١٢٩ - ١٣٠ والبرهان فى علوم القرآن ١/٣٤٥
(٤) معاني القرآن ١/ ٣٠٥ وانظر: إملاء ما من به الرحمن ١/ ٢١٣
(٥) سورة المائدة ٥/ ٤٥

يقول أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ): «إذا قرأ (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين... والجروح قصاص) فهذا التمام عنده إذا نصب، وهى قراءة نافع وعاصم والأعمش وحمزة[١] . ومن قرأ (والعين بالعين) فرفعهما ورفع مابعدهما [٢] ، فالوقف عنده (أن النفس بالنفس)، وهذه قراءة الكسائي واختيار أبى عبيدة[٣] ، وبها قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤] . فعلى هذه القراءة (والعين بالعين) ابتداء حكم فى المسلمين. ويجعل ماكتب عليهم فى التوراة (أن النفس بالنفس)، ويوجب الحكم فى القصاص فى العيون ومابعدها بين المسلمين بالآية[٥] .

فمن وقف عند (أن النفس بالنفس) جعل ذلك خاصا ببنى اسرائيل مكتوبا عليهم ثم يبدأ جملة جديدة هى (والعين بالعين)، وتكون خاصة بحكم فرض الله تعالى على المسلمين دون بنى اسرائيل.

ومن وصل الآية كلها وقرأ بالنصب جعل مورفيم الواو عاطفاً مع تكراره وبذلك تتكون جملة واحدة، ويكون المعنى آنذاك فرض كل ذلك على بنى اسرائيل دون غيرهم.

يقول الفراء فى توجيه ذلك:

---

(١) نافع وعاصم وحمزة من القراء السبعة، أما الأعمش فهو أبو محمد سليمان بن مهران الأعمشي، قرأعليه حمزة وعيسى بن عمر.
انظر: النشر في القراءات العشر ١/ ١٦٥

(٢) لعل تثنية الضمير في (فرفعهما وما بعدهما) تعود على المبتدأ وخبره المركب اخرفي.

(٣) الكسائي نحوى من القراء السبعة، أما أبو عبيدة فهو معمر بن المثنى التيمى صاحب مجاز القرآن (ت ٢٠٩ هـ). انظر: طبقات النحويين واللغويين ١٧٥ ـ ١٧٨ وأخبار النحويين البغداديين ٨٠ ـ ٨٣

(٤) وقد أورد الفراء: «عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ: (والعين بالعين) رفعا». معانى القرآن ١/ ٣١٠ وتفسير القرطبي ٦/ ١٩٣ وصحيح الترمذى (باب فضائل القرآن) وعارضه الأحوزى بشرح صحيح الترمذى ٥٢/١١

(٥) القطع والائتناف ٢٣/١ والبرهان فى علوم القرآن ٣٤٩/١

تنصب (النفس) بوقوع (أن) عليها، وأنت فى قوله (والعين بالعين والأنف بالأنف) إلى قوله (والجروح قصاص) بالخيار. إن شئت رفعت، وإن شئت نصبت... فإذا رفعت العين أتبع الكلام العين، وإن نصبته فجائز»[١].

وكما رأيناه في حديثه عن الآية السابقة؛ نراه هنا أيضا، رجلا لغويا لا يهمه إلا تركيب الجملة، دون التوقف عند اختلاف الدلالة الذى يترتب على الرفع أو النصب.

وفى قوله سبحانه: «قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون»[٢] يقول أبو جعفر النحاس إن أبا عبدالرحمن السلمى «كان يستحب أن يقف (قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا)، ثم يبتدئ فيقول: (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون). أراد أن يفرق بين كلام الكفار وجواب الملائكة»[٣] معنى ذلك أن الآية الكريمة ليست في محل نصب مقول القول للفعل (قالوا)، وعليه فهى ليست من كلام الكفار وحدهم، بل إنهم عندما يرون [illegible] والحساب يبهتون قائلين «ياويلنا من بعثنا من مرقدنا»، فتجيبهم [illegible] «هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فيما أنذروكم به»[٤].

[illegible] بد من [illegible] على الجملة الاستفهامية، ليظهر المعنى المراد. أما إن وصلت الجملتان في الآية كلها، فإنها تعتبر مقول القول للكفار، دون أن يكون هناك جواب للاستفهام.

---

(١) معانى القرآن ١/ ٣٠٩ - ٣١٠. وانظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ٢١٦، ٢١٧
(٢) سورة يس ٣٦/ ٥٢
(٣) القطع والائتناف ١/ ١٩ وانظر: البرهان في علوم القرآن ١/ ٣٤٥
(٤) أورد ابن كثير: «وقال غير واحد من السلف: إنما يجيبهم المؤمنون لا الملائكة».
تفسير ابن كثير ٣/ ٥٧٤ وانظر: تفسير القرطبى ١٥/ ٤١، ٤٢

وفى الآية نفسها يشير ابن الجزرى إلى أن الوقف قبيح على كلمة (هذا) مع وصلها بالجملة الاستفهامية قبلها، حيث يكون التركيب هكذا: (من بعثنا من مرقدنا هذا؟)

أما البدء بكلمة (هذا) فيراه ابن الجزرى جيدا، لربطه بين المبتدأ (هذا) وخبره (ما)[١].

وفى قوله تعالى: «يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم»[٢] يرى ابن الجزرى أن الوقف على (وإياكم) حسن لتمام الكلام، والابتداء به قبيح لفساد المعنى، إذ يصير تحذيرا من الإيمان بالله تعالى»[٣] لقد فطن ابن الجزرى عنا إلى أن (إياكم) ضمير نصب معطوف على كلمة (الرسول)، ووقع عليهما الفعل (يخرج)، وتصير جملة (أن تؤمنوا) تعليلية أى يخرجونكم بسبب إيمانكم[٤]. أما إن بدأ بكلمة (وإياكم) فإن الجملة تؤدى معنى التحذير من الإيمان، ومن ثم يختلف عمل (إيا) من ضمير معطوف عليه، إلى ضمير فى محل نصب مفعول به للتحذير.

لذلك نجد أن أبا ذر الحنفى عرف أن «إمامه ببخارى قرأ ووقف وابتدأ من قوله تعالى (وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) فعزله ولم يأمر بإعادة الصلاة»[٥].

(١) انظر: النشر فى القراءات العشر ١/ ٢٣٠
(٢) سورة الممتحنة ٦٠/ ١
(٣) النشر فى القراءات العشر ١/ ٢٣٠
(٤) انظر: تفسير القرطبى ٥٢/١٠
(٥) طبقات المفسرين ١/ ١٧٠

الوقف والفقه

يبحث علم الفقه فى الأحكام الشرعية التى شرعها الله تعالى لعباده المكلفين، وللفقه مصادر عدة، لاستخراج أحكامه، أعلاها هو القرآن الكريم[١] ولمعرفة الجائز والواجب والحلال والحرام والمندوب والمكروه، لابد من معرفة آيات الأحكام فى القرآن الكريم، ولاتفهم الآيات إلا فى ضوء علاقات الكلمات والجمل، التى تختلف حسب الوقف والابتداء.

من هنا نجد أنه «يحتاج صاحب علم التمام إلى المعرفة بأشياء من اختلاف الفقهاء فى أحكام القرآن»[٢]

ولنأخذ أية من كتاب الله، ندلل بها على أثر علاقة الوقف والابتداء فى اختلاف الحكم الفقهى. وهى قوله تعالى:

«والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون. إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم»[٣].

اختلف العلماء فى حكم الآية، وهو شهادة القاذف، بين قائل بجوازها إذا تاب، وقائل بعدم قبولها. فمن «قال من الفقهاء: لاتقبل شهادة القاذف وإن تاب كان الوقف عنده (ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا)»[٤] فهو يجعل الوقف عند الجملة الفعلية المنفية ب (لا) الناهية، ثم يبدأ جملة اسمية جديدة: هى وأولئك..) وبذلك يكون المستثنى فى الآية التالية لها متعلقا بالجملة الاسمية (وأولئك.....).

وعندئذ يطلق لفظ الفاسقين عليهم إلا من تاب منهم وأصلح.

(١) انظر: التعريفات ١١٢

(٢) القطع والائتناف ١/ ٢١

(٣) سورة النور ٢٤/ ٤، ٥

(٤) القطع والائتناف ١/ ٢١ وانظر: البرهان فى علوم القرآن ١/ ٣٤٣

أما «من قال: تجوز شهادته إذا تاب كان الكلام عنده متصلا، والوقف عنده (فإن الله غفور رحيم)»[١] وبذلك يكون الاستثناء من جملة (ولاتقبلوا..) وليس من جملة (وأولئك...). ووجه الكلام هنا يكون (ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا).

ومع أن الوقف سنة على رؤس الآيات، إلا أن من قال بقبول شهادة القاذف هنا لايعتد بذلك، ويصل الآيتين معا، ليبنى على وصل كلامه هذا حكمه الفقهى.

يدل على ذلك ماأورده أبو جعفر النحاس: «عن ابن عباس (ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا) ثم قال: (إلا الذين تابوا). قال: فمن تاب وأصلح فشهادته فى كتاب الله عز وجل تقبل»[٢].

(١) القطع والائتناف ١/ ٢١

(٢) المرجع نفسه ١/ ٢١ وأورد النحاس فى الموضع نفسه أن من قال بذلك أيضا مالك والشافعى.

الوقف والنحو

لاندرى ماهو سر الخلاف الشديد بين القراء واللغويين؟ هذا الخلاف الذى جعل القراء يستبيحون لأنفسهم الوقف كيفما شاءوا، وتقسيم الوقف أقساما معينة، لكل قسم اسم معين، مع اختلاف هذه الأقسام والمسميات من واحد لآخر.

كل ذلك عن طريق تجزئة الآية الواحدة إلى جمل معينة، مع تحديد الوقف حسب تعلق الكلمات فى الجملة الواحدة. ولايفهم ذلك إلا بفهم النص الذى يبحث فى علاقة الكلمات داخل الجملة الواحدة، من الناحيتين الوظيفية والإعرابية.

على حين نجد اللغويين مهتمين بذلك أيضا، لكنهم لايراعون المعنى، بل يطوعون الآية لما تحتمله اللغة من وجوه إعرابية ووظيفية. وأظن أن ذلك هو منشأ الخلاف بين الفريقين.

وقد رأينا فيما سبق أن أبا زكريا الفراء يجيز النصب والرفع فى الآية (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين..) (١)، دون التفات إلى المعنى الذى يترتب على الرفع أو النصب. كما أنه يجيز تعلق المركب (أربعين سنة) فى الآية (قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض..) (٢)، يجيز تعلقه بجملة (فإنها محرمة) وبجملة (يتيهون)، دون اعتبار أيضا للمعنى الذى يترتب عليهما.

لذلك فقد وقف القراء للغويين بالمرصاد، كما يتبين من النص التالى:

«ليس كل مايتعسفه بعض المعربين أو يتكلفه بعض القراء أو يتأوله بعض أهل الأهواء مما يقتضى وقفا أو ابداء، ينبغى أن يتعمل الوقف عليه، بل ينبغى تحرى المعنى الأتم، والوقف الأوجه، وذلك نحو الوقف على (وارحمنا أنت)، والابتداء (مولانا فانصرنا) على معنى النداء. ونحو (ثم جاءوك يحلفون) ثم

---

(١) سورة المائدة ٥/ ٤٥ وانظر ص١٠٢ من هذا الكتاب.

(٢) سورة المائدة ٥/ ٢٦ وانظر ص١٠٦ من هذا الكتاب.

الابتداء (بالله إن الشرك) على معنى القسم. ونحو (فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح).

ونحو (فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا) ويبتدأ[١] (عليه أن يطوف بهما، وعلينا نصر المؤمنين) بمعنى وأجب أولازم، ونحو الوقف على (وهو الله) والابتداء (في السموات وفي الأرض). وأشد قبحا من ذلك الوقف على (في السموات)، والابتداء (وفي الأرض يعلم سركم). ونحو الوقف على (ما كان لهم الخيرة) مع وصله بقوله (ويختار)، على أن (ما) موصولة. ومن ذلك قول بعضهم في (عينا فيها تسمى سلسبيلا)، أن الوقف على (تسمى) أي عينا مسماة معروفة، والابتداء (سل سبيلا)، هذه جملة أمرية أي اسأل طريقا موصلة إليها. وهذا مع مافيه من التحريف يبطله إجماع المصاحف على أنه كلمة واحدة. ومن ذلك الوقف على (لاريب)، والابتداء (فيه هدى للمتقين)، وهذا يرده قوله تعالى في سورة السجدة (لاريب فيه من رب العالمين).

ومن ذلك تعسف بعضهم إذ وقف على (وما تشاءون إلا أن يشاء)، ويبتدئ (الله رب العالمين)، ويبقى (يشاء) بغير فاعل. فإن ذلك وما أشبهه تمحل وتحريف للكلم عن مواضعه، يعرف أكثره بالسياق والسياق[٢]

ومع طول هذا النص إلا أننا يمكن أن نستخلص منه الآيات التي استشهد بها ابن الجزري على التكلف والتأويل، ومنها:

- قوله تعالى: «وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين»[٣]. فهو يعترف بالوقف على (وارحمنا)، ثم يبتدئ (أنت مولانا) وينكر الوقف على (وارحمنا أنت)، ثم يبتدئ (مولانا فانصرنا). والمعنى هنا في (أنت مولانا) إخبار

---

(١) هكذا في الأصل، ولعل الكمة (يبدأ) أو (يبتدئ).

(٢) النشر في القراءات ١/ ٢٣١، ٢٣٢ وانظر الإتقان في علوم القرآن ١/ ٨٦

(٣) سورة البقرة ٢/ ٢٨٦

عن طريق جملة اسمية، على حين أن المعنى فى (مولانا فانصرنا) إنشاء عن طريق النداء بالجملة الفعلية، المحذوف أداة النداء فيها، مع تحول الضمير (أنت) من مبتدأ للخبر (مولانا)، إلى توكيد لفظى للمفعول به فى الفعل (ارحمنا).

قوله تعالى: «ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا»(١).

وقوله عز وجل «يابنى لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم»(٢).

حيث يرى أن الوقف بعد المركب الحرفى (بالله)، وبذلك يتعلق هذا المركب بالفعل (يحلف) فى الآية الأولى، وبالفعل (تشرك) فى الآية الثانية.

على حين يمنع الوقف قبلهما، ليتحول المركب الحرفى إلى معنى القسم، عند اتصاله بما بعده. هكذا:

- ثم جاءوك يحلفون؛ بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا.
- يابنى لاتشرك؛ بالله إن الشرك لظلم عظيم.
- وقوله سبحانه: «وربك يخلق مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرة»(٣).

فهو يرى الوقف بعد الفعل (يختار) عطفا له على الفعل (يخلق) لتبدأ جملة (كان) المنفية. على حين يمنع الوقف على الفعل (يشاء) ليتصل الفعل (يختار) بجملة (كان)، وعندها تتحول (ما) من النفى والحرفية إلى الموصولية، هكذا:

- وربك يخلق مايشاء.
- ويختار ماكان لهم الخيرة.

أى يختار الذى هو خير لهم.

- قوله تعالى: «فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين»(٤).

---

(١) سورة النساء ٤/ ٦٢

(٢) سورة لقمان ٣١/ ١٣

(٣) سورة القصص ٢٨/ ٦٨

(٤) سورة الروم ٣/ ٤٧

حيث يرى أن الوقف عند جملة (أجرموا)، لتبدأ جملة (كان)، ويمنع الوقف عند (حقا)، لتبدأ جملة (علينا نصر). هكذا:

- فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا.

- علينا نصر المؤمنين.

والمعنى في الحالتين واحد، وهو الانتقام من المجرمين ونصر المؤمنين.

- قوله جل وعز: «ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين»(١).

حيث يمنع الوقف على (لاريب)، مستشهدا بقوله سبحانه: «لاريب فيه من رب العالمين»(٢) وهو هنا يناقض نفسه، إذ إنه رأى وقفا على (لاريب).

لكنه قيده بعدم الوقف على (فيه) وهو ماعرف بالمراقبة. (٣)

ومع ذلك فلا غضاضة من الوقف على (لاريب)، أي (لاشك): ثم تبدأ جملة جديدة خبرها مركب حرفي مقدم وجوبا هي (فيه هدى للمتقين).

أما ماأحسن فيه ابن الجزري فهو كراهة الوقف على الفعل (تسمى) من قوله تعالى (عينا فيها تسمى سلسبيلا)(٤) ثم تبدأ كلمة (سلسبيلا) التي تؤول بجملة فعلية هي (سل سبيلا) أي اسأل طريقا. وقد علل كراهة ذلك بأنه تحريف للمعنى يبطله إجماع المصاحف على كتابتها كلمة واحدة،هذه الأوقاف التي منعها ابن الجزري، وجعلها تعسفا وإغراضا للنص، لانجد في منعها نصا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الصحابة من بعده. ناهيك عن أنها لاتحرف المعنى ولاتبدله ولاتغيره، بل يظل السياق القرآني كما هو، مع احتمال الآيات للمعنيين دون مساس بقدسية القرآن العظيم. بل إني لأذهب إلى أن هذا الاختلاف من

(١) سورة البقرة ٢/٢

(٢) سورة السجدة ٣٢/ ٢

(٣) انظر ص ٨٠ من هذا الكتاب

(٤) سورة الإنسان ٧٦/ ١٨

مظاهر الإعجاز فيه.

ولعل مايعضد هذا الرأى أن ابن الجزرى لم يسند هذه الآراء إلى أحد، ولو وجد غيره قال بذلك لذكره، ولو وجد دليلا من السنة أو الإجماع لذكره أيضا. بل إنه لم يذكر إلا إجماع المصاحف على كتابة (سلسبيلا) كلمة واحدة، وهو مانوافقه عليه. على حين جانبه الصواب فى آية أول البقرة (لاريب)، ومع ذلك فقد استشهد بأول السجدة (لاريب فيه من رب العالمين). ولذلك فقد ختم رأيه بقوله: (يعرف أكثره بالسباق والسياق)[١].

(١) النشر فى القراءات ١/ ٢٣٢

الوقف وخط المصحف

للغة جوانب متعددة ، منها جانبان رئيسان ، هما المكتوب والمنطوق ، ومن البدهى أن نطق أية لغة سابق على كتابتها ، بل إن هناك كثيراً من اللهجات واللغات البدائية غير مكتوبة .

وبالنسبة للغة العربية نجد أن أقدم نص مكتوب هو القرآن الكريم ، وقد كتب بعد ذلك - متفرقاً فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومجموعاً بدءا من عهد أبى بكر الصديق .

وهناك تأثير وتأثر بين الجانبين ؛ المنطوق السابق ، والمكتوب اللاحق فى القرآن الكريم ، مع تغليب جانب المنطوق ، إذ إنه هو الأصل ، حيث نزل شفهياً منطوقاً .

وإذا كانت هناك مقولة ترى أن هناك خطين لا يقاس عليها هما خط المصحف ، والخط العروضى ؛ فسوف نحاول دراسة العلاقة بين الخط الأول ونطقه ، وبخاصة فى حالة الوقف . وإذا كان الوقف فى اللغة العربية له قانون خاص ، فهو

على المجرور والمرفوع والمنصوب يكون بالسكون، إلا المنون المنصوب فهو بفتحة طويلة، فإننا نجد كثيرا من رؤس الآيات المتحركة بكسرة ياء المتكلم أوياء المضاف إليه، قد كتبت بدونها، وذلك مراعاة للوقف عليها بالسكون. ومن ذلك:

- قوله تعالى: ربنا وتقبل دعاء»[1]، وأصلها (دعائى).

- قوله تعالى: «فبشر عباد»،[2] وأصلها (عبادى).

- قوله تعالى: «كل كذب الرسل فحق وعيد»،[3] وأصلها (وعيدى).

- قوله تعالى: فكيف كان عذابى ونذر»[4] وأصلها (ونذرى).

ثم أجرى الوصل مجرى الوقف، فحذفت هذه الياءات وسط الآية لا عند رأسها. وذلك مثل:

- قوله سبحانه: «أجيب دعوة الداع إذا دعان»[5] وأصلها «الداعى، دعانى).

كما حذفت لامات الأفعال الناقصة أيضا، مثل:

- قوله سبحانه: «ويدع الانسان بالشر،[6] وأصلها (يدعو)،

- قوله سبحانه: «يوم يدع الداع إلى شئ نكر»[7] وأصلها (يدعو الداعى)[8].

وهاء السكت أيضا، ماهى إلا أثر من الآثار التى تركها المنطوق فى المكتوب، وهذه الهاء تجتلت للوقف عليها؛ فى الكلمات ذات المقطع القصير المفتوح آخرها، حيث تكره الفصحى هذا المقطع أواخر الكلمات[9]. ولذلك تغلقه بهذه الهاء

(١) سورة ابراهيم ٤٠/١٤

(٢) سورة الزمر ٣٩/ ١٧

(٣) سورة ق ٥٠/ ١٤

(٤) سورة القمر ٥٤/ ١٨، ٢١، ٣٠

(٥) سورة البقرة ٢/ ١٨٦

(٦) سورة الإسراء ١٧/ ١١

(٧) سورة القمر ٥٤/ ٦

(٨) البرهان فى علوم القرآن ١/ ٣٧٦

(٩) انظر: المدخل إلى علم اللغة ٢٥٧

الساكنة[1]. ويكثر ذلك فى الفعل اللفيف المفروق حالة الأمر؛ مثل:

عِ   عِـهْ   من الفعل (وعى).

ص ح   ص ح ص

ولما كان الوقف على رؤس الآيات سنة عن رسولنا صلى الله عليه وسلم، فقد ختمت بعض الآيات ذات الكلمات المختومة بهذا المقطع، بهاء السكت.

ومن ذلك:

قوله تعالى: (هاآوم اقرأوا كتابيه. إنى ظننت أنى ملاق حسابيه).[2]

وذلك وقفا، ثم كتب فى مرحلة لاحقة بالهاء، ثم أجرى هذا الوقف مجرى الوصل؛ فجرى مجراه فى أوساط الآيات، كقوله سبحانه:

(وانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه).[3]

و (فبهداهم اقتده).[4]

مع أن الكلمتين (يتسنه ـ اقتده) ليستا رأس آية.

وقد فطن إلى ذلك الزركشى حيث قال:

«فالواجب أن يوقف عليه بالهاء، لأنه مكتوب فى المصحف بالهاء، ولايوصل لأنه يلزم ـ فى حكم العربية ـ إسقاط الهاء فى الوصل، فإن أثبتها خالف العربية، وإن حذفها خالف مراد المصحف، ووافق كلام العرب، وإذا هو وقف عليه خرج من الخلافين... وقد أتوا به على نية الوقف».[5]

أما الفراء فلم يفطن إلى ذلك، بل جعل الهاء فى (يتسنه) «من قولك؛ بعته

---

(١) انظر: شرح المفصل ٩/ ٤٥، ٨٥ والإنصاف فى مسائل الخلاف ٢/ ٥٧٢ مسألة رقم ٧٨

(٢) سورة الحاقة ٦٩/ ١٩، ٢٠ وانظر آيات ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٢٩

(٣) سورة البقرة ٢/ ٢٥٩

(٤) سورة الأنعام ٦/ ٩٠

(٥) البرهان فى علوم القرآن ١/ ٣٤٤

مسانهة، تثبت وصلاووقفا، ومن وصله بغير هاء جعله من المساناه؛ لأن (سنة) تعتقب عليها الهاء والواو... وإن شئت قرأتها فى الوصل على وجهين؛ تثبت الهاء وتجزمها، وإن شئت حذفتها». (١)

ونجد عكس ذلك، وهو تأثير الخط فى الوقف، أى تأثير المكتوب فى المنطوق، وعندئذ صار «خط المصحف هو الإمام الذى يعتمده القارئ فى الوقف والتمام، ولايعدو رسومه ولايتجاوز مرسومه». (٢) وقد جاء ذلك فى مرحلة لاحقة، بدأت المؤلفات في الوقف والابتداء، حيث تقيد أصحابها بخط المصحف، فكان لهم هاديا فى معرفتهما. وفى ذلك يقول أبو جعفر النحاس فى معرض حديثه عن قوله تعالى: (ألم) (٣): «قال الأخفش سعيد بن مسعدة: ألف تمام، ولام تمام، ومذهب أبى عبيدة أن مجازها مجاز حروف الهجاء، ومذهب الكسائى أنها حروف التهجى. فهذا قول وليس عندى بصواب، لأنها فى المصحف موصولة، فلا يجوز قطعها، كما لايجوز مخالفة مافى المصحف». (٤)

يتضح من هذا النص أن الخط المكتوب قد اكتسب قدسية معينة، ولاتجوز مخالفته. ومع ذلك يعمل اللغويون عقولهم فى تأويل الوقف، عند تحويل هذا المكتوب إلى منطوق فعلى. فيرى الأخفش الأوسط أنه يمكن الوقف على الألف والوقف على اللام والوقف على الميم. ويسانده فى ذلك أبو عبيدة الذى يرى أنها حروف هجاء، أى أسماء فونيمات (ألف - لام - ميم). على حين يرى الكسائى أنها حروف تهج، أى فونيمات لكل فونيم استقلاله السمعى والنطقى، أى (أْ - لْ

(١) معانى القرآن ١/ ١٧٢، ١٧٣ وانظر إتحاف فضلاء البشر ١/ ٣٢٤، ٣٢٥

(٢) البرهان فى علوم القرآن ١/ ٣٧٦

(٣) سورة البقرة ١/٢ وسورة آل عمران ٣/ ١ والعنكبوت ٢٩/ ١ والروم ١/٣٠ ولقمان ١/٣١ والسجدة ١/٣٢

(٤) القطع والائتناف ١/ ٣٤

ـ م).[(١)] ولذلك يجب الوقف على كل منها عندهم. ويخالفهم فى ذلك أبو جعفر النحاس، فيرى أنها مكتوبة فى المصحف موصولة هكذا (ألم)، ولايجوز قطعها موافقة لهذا المكتوب. ويعضد رأيه القائل بعدم الوقف عند كل فونيم على حدة، من هذه الفونيمات المقطعة أوائل بعض السور، إلا (حم عسق)[(٢)] بقوله: «العلة فى قطعها دون غيرها أن الحواميم سبع[(٣)] فلما تكررت زيد فى إحداهن شئ كان منفصلا»[(٤)].

إنه يريد أن يعلل قطع (حم) عن (عسق)، فيرى أنها زائدة عن بقية السور المبدوءة بالفونيمين (ح ـ م) بفونيمات أخرى هى (ع ـ س ـ ق). ولذلك تميزت عن غيرها بالوقف بينهما. ونحن نرى أن علة الوقف هنا هو فصل (حم) عن (عسق) بالفاصلة القرآنية، والوقف على رؤس الآيات مقاطع كما سبق، ولذلك يوقف بين الآيتين.

كما نجد تأثير المكتوب على الوقف الذى هو منطوق أيضا، فيما أورده الفراء فى معرض حديثه عن قوله تعالى: (فمال هؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا)[(٥)]، فيقول: «(فمال) كثرت فى الكلام حتى توهموا أن اللام متصلة ب (ما)، وأنها حرف فى بعضه. ولاتصال القراء لايجوز الوقف على اللام، لأنها لام

---

(١) اسم الفونيم هو مايميز فونيما عن آخر، ... ويبدأ اسم الفو[نيـ]ـم بالفونيم المطلق عليه، فمثلا (ل) هى (لام). أما التحقق السمعى والنطقى للفونيم فهو نطقه وسمعه. فاللام مثلا هى لام ساكنة مسبوقة بهمزة وصل (إل). وقد فطن إلى شىء قريب من ذلك الزركشى فى البرهان. انظر ١/ ١٧٢

(٢) سورة الشورى ٤٢/ ١، ٢

(٣) الحواميم هى السور المبدوءة بالفونيمين (ح ـ م) وهى ـ على التوالى: (غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف).

(٤) القطع والائتناف ١/ ٣٤

(٥) سورة النساء ٤/ ٧٨

خافضة»[١].

وهنا تبدو رؤيتان:

الأولى: كثرة استخدام اللام مع (ما) فى النطق، حتى توهم المتكلم والسامع أنهما حرف واحد، أى أداة واحدة فكتبتا معا (مالِ). وهنا يبدو تأثير المنطوق فى المكتوب.

الثانية: قراءة القراء كلمة (هؤلاء) موصولة باللام قبلها، فهما مركب حرفى (جار ومجرور)، ولذلك لايمكن الفصل بينهما. وهو تأثير للمنطوق أيضا فى المكتوب.

وقد تنبه بعض اللغويين إلى العلاقة بين الخط والوقف، أى بين المنطوق والمكتوب للغة القرآن الكريم، فنرى الفراء فى حديثه عن قوله تعالى: «اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم»،[٢] يقول: «فإن شئت جعلت الألف التى فى (مصرا) ألفا يوقف عليها، فإذا وصلت لم تنون فيها، كما كتبوا (سلاسلا)[٣] و (قواريرا)[٤] بالألف»[٥].

فهو يرى أن كلمات (مصرا، سلاسلا، قواريرا) منونة، ويوقف عليها بالفتحة الطويلة (الألف). إذ إن التنوين بالفتحة عند مايوقف عليه يتحول إلى فتحة طويلة، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف، فنطقت فتحة طويلة فى

---

(١) معانى القرآن ١/ ٢٧٨ ولم يتنبه إلى ذلك الزركشى، بل علل تعليلات حسب الظاهر والملكوت. انظر البرهان فى علوم القرآن ١/ ٤٢٢ وانظر: إتحاف فضلاء البشر ١/ ١٠٥، ٣٢٧ .

(٢) سورة البقرة ٢/ ٦١

(٣) سورة الإنسان ٧٦/٤ والآية هى «إنا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا».

(٤) سورة الإنسان ٧٦/١٥، ١٦ والآيتان هما (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا قواريرا من فضة قدروها تقديرا).

(٥) معانى القرآن ١/٤٣

الحالتين وصلا ووقفا.

ونراه في موضع آخر لايعلل حذف ياء (عباد)، في قوله تعالى (فبشر عباد)[١]، فيقول: «فإن هذه بغير ياء، فلا تنصب ياؤها، وهي محذوفة»[٢].

وفي كلامه هذا يبني تعليله في حذف الياء على صورة الكلمة المكتوبة (عباد)، في المصحف دون ياء، وهذا دون فطنة إلى أنها رأس آية، والوقف عليها سنة، فتتحول كسرة الدال الطويلة (الياء) إلى سكون.

وإذا كان الفراء قد تنبه إلى طبيعة هذه العلاقة في الآية الأولى، ولم يتنبه إليها في الآية الثانية، فإن بدر الدين الزركشي لم يتنبه إليها ألبته،[٣] بل يعلل اختلاف منطوق القرآن عن مكتوبه فيقول: «واعلم أن الخط جرى على وجوه، فيها مازيد عليه في اللفظ، ومنها مانقص ومنها ماكتب على لفظه. وذلك لحكم خفية وأسرار بهية»[٤]. ثم يفصل هذه الحكم والأسرار، فينقل عن أبي العباس المراكشي:[٥]

«أن هذه الأحرف إنما اختلف حالها في الخط بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها، ومنها التنبيه على العوالم؛ الغائب والشاهد، ومراتب الوجود والمقامات»[٦]. وأكثر ماذكره في ذلك غير متعلق بموضوعنا، اللهم إلا ما استشهدنا به آنفا من حذف الياءات ولامات الأفعال الناقصة.[٧] فقد كرر مقولة أبي

---

(١) سورة الزمر ٣٩/ ١٧

(٢) معاني القرآن ٢٩/١ وانظر أيضا ١/ ٢٠٠ - ٢٠١ وانظر: إتحاف فضلاء البشر ١/ ٨٩

(٣) لاحظ أنه قدتنبه إلى هذه العلاقة عند حديثه عن هاء السكت، انظر ص ١١٩ من هذا الكتاب.

(٤) البرهان في علوم القرآن ١/ ٣٨٠.

(٥) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي المعروف بابن البنا (ت ٧٢١هـ).

(٦) البرهان في علوم القرآن ١/ ٣٨٠ - ٣٨١

(٧) انظر ص ١١١ من هذا الكتاب.

العباس أن حذف الياء اكتفاء بالكسرة «هو باعتبار ملكوتى باطن».(١)

وندلل على ذلك بالأمثلة التالية:

- عند شرحه لحذف ضمير المفعولية فى الفعل (دعانى) ليصير (دعان)(٢) يقول: «فحذف الضمير فى الخط دلالة على الدعاء الذى من جهة الملكوت بإخلاص الباطن».(٣).

- وفى قوله تعالى: «ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد»،(٤) يقول: «ثبتت الياء فى (المقام) لاعتبار المعنى من جهة الملك، وحذفت من (الوعيد) لاعتباره ملكوتيا، فخاف المقام من جهة ماظهر للأبصار، وخاف الوعيد من جهة إيمانه بالأخبار»(٥).

- فى قوله سبحانه: «إنى أخاف أن يكذبون»(٦)، يقول: «خاف موسى عليه السلام أن يكذبوه فيما جاءهم به، وأن يكون سببه من قبله، من جهة إفهامه لهم بالوحى، فإنه كان عالى البيان، ولأنه كليم الرحمن، فبلاغته لا تصل إليها أفهامهم، فيصير إفصاحه العالى عند فهمهم النازل عقدة عليهم فى اللسان، يحتاج إلى ترجمان. فإن يقع بعده تكذيب فيكون من قبل أنفسهم، وبه تتم الحجة عليهم».(٧)

ولو فطن الزركشى أو ابن البناء المراكشى لعلاقة الخط بالوقف والابتداء لوجدنا فى تعليلهما لهذا الحذف كلاما آخر.

(١) البرهان فى علوم القرآن ١/ ٣٩٩
(٢) سورة البقرة ٢/ ١٨٦
(٣) البرهان فى علوم القرآن ١/ ٣٩٩ - ٤٠٠
(٤) سورة ابراهيم ١٤/ ١٤
(٥) البرهان فى علوم القرآن ١/ ٤٠٠
(٦) سورة الشعراء ١٢/٢٦
(٧) البرهان فى علوم القرآن ١/ ٤٠١

الخاتمة

لايخرج البحث فيما سبق عن بيان وجهة نظر لغوية فى آراء العلماء فى الوقف والابتداء. هذه الآراء التى انبثقت من ولاء للقرآن العظيم، فى محاولة لفهم التراكيب والجمل القرآنية، وعلاقة بعضها ببعض.

وإذا كانت آراء هؤلاء العلماء قد اختلفت فيما بينها اختلافا كثيرا، حتى لانكاد نجد اثنين منهم، قد اتفقا فى الأقسام أو التعريفات، فإن هذا الخلاف راجع إلى عدم وجود نصوص صريحة من السنة النبوية المباركة، فى ذلك.

بل ماورد هو الفصل بين آية الرحمة وآية العذاب، والوقف على رؤس الآى. ومع ذلك لم نجد حديثا واحدا فى الصحيحين (البخارى ومسلم) يدل على ذلك. من هنا يمكننا الحكم بأن هذا الآراء كلها اجتهادات شخصية، ليس فيها طعن فى الدين، ولا فى القرآن الكريم. فلكل منهم وجه نظره الشخصية التى استنبطها ممن سبقه من العلماء، أو من خلال ممارسته للقراءات، أو من خلال فهمه للنص الكريم.

كما رأينا اختلاف اللغويين والقراء فى ذلك الوقف، وأرجعنا ذلك الخلاف إلى إعمال اللغويين القاعدة اللغوية فى النص العظيم، دون التقيد بالمأثور فى ذلك. ولعل عبارتهم التى ردوها كثيرا، دليلا على ذلك هى قولهم: (إن شئت جعلتها... وإن شئت جعلتها)، أو (ولك الوجهان فيها).

وبيّنا أن عِلما واحدا لايعيش بمفرده، ولا يُبحث وحده، بل لابد من الاستعانة بعلوم أخرى، فللوقف والابتداء علاقة بالنحو، والفقه، والتفسير والقراءات، والخط، أو رسم المصحف؛ حيث يؤثر الخط فى الوقف ويؤثر الوقف فى الخط. وعرفنا أن تأثير الوقف فى الخط أسبق من تأثير الأخير فى الأول. ولعل كثرة المؤلفات فى ذلك العلم-حيث زادت على الستين مؤلفا-تدل على اهتمام السلف به، على حين أن قلة ماحقق منها يدل على عدم اهتمام العلماء المحدثين به، يدل على ذلك أيضا

... الدراسات التى قامت ببحث هذا الموضوع، حيث ظل ينحسر إلى أن جاء فى شكل علامات معينة أو اصطلاحات توضع فوق خط المصحف؛ مثل: (قلى - صلى - لا - م - قف - ج).

المراجع العربية

١ - إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، للشيخ أحمد البنا، ت. د. شعبان اسماعيل - القاهرة ١٩٨٧م.

٢ - الإتقان فى علوم القرآن، لجلال الدين السيوطى - بيروت ١٩٧٣م.

٣ - أخبار النحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض لأبى سعيد السيرافى ت: د. محمد ابراهيم البنا - القاهرة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٤ - الأساليب الإنشائية فى النحو العربى عبد السلام هارون القاهرة ١٩٧٩ م

اصطلاحات الصوفية - عبد الرزاق الكاشانى - ت : د . عبد الخالق محمود دار المعارف ، القاهرة ط٢ ١٩٨٤م

٦ - الأصمعى اللغوى - د. عبد الحميد الشلقانى - القاهرة ط ١٩٨٢م.

٧ - الأصوات اللغوية - د. ابراهيم أنيس - القاهرة ط ٦ ١٩٨١م.

٨ - إعجاز القرآن، لأبى بكر الباقلانى القاهرة ط ١٩٧٨م.

٩ - إملاء مامن به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جميع القرآن، لأبى البقاء العكبرى - بيروت ط١ ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٠ - إنباه الرواة على أنباء النحاة، للقفطى، ت: محمد أبو الفضل ابراهيم - القاهرة ١٩٥٥م.

١١ - الإنصاف فى مسائل الخلاف، لابن الأنبارى، ت: محمد محيى الدين عبد الحميد - القاهرة ط٤ ١٩٦٦م.

١٢ - الإيضاح فى علل النحو، للزجاجى، ت: د. مازن المبارك، بيروت ط٤ ١٩٨٢م.

١٣ - بحوث ومقالات فى اللغة، د. رمضان عبد التواب ط١ القاهرة ١٩٨٢م.

١٤ - البدور الزاهرة فى القراءات العشر المواترة - عبد الفتاح القاضى - القاهرة ١٩٥٥م.

١٥ - البرهان فى علوم القرآن، لبدر الدين الزركشى ت: أبو الفضل ابراهيم - القاهرة ٥٧م.

١٦ - بناء الجملة فى لهجة الواحات الخارجة-د. أحمد عارف حجازى رسالة دكتوراه مخطوطة بآداب عين شمس ١٩٨٨م.

١٧ - تاريخ التراث العربى - كارل بروكلمان ت: د. عبد الحليم النجار - القاهرة- د.ت.

١٨ - تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لابن مالك - ت: محمد كامل بركات - القاهرة ١٩٦٧م.

١٩ - التعريفات، للجرجانى، استنبول ط ١٢٧هـ.

٢٠ - تفسير ابن كثير تفسير القرآن العظيم)، لاسماعيل بن كثير الدمشقى ط القاهرة ١٩٨٠م.

٢١ - تفسير الطبرى (جامع البيان عن تأويل أى القرآن)، لابن جرير الطبرى ت: محمد شاكر - القاهرة ط٢ ١٩٧١م.

٢٢ - تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن) - للإمام القرطبى القاهرةد.ت.

٢٣ - تفسير النيسابورى (غرائب القرآن ورغائب الفرقان)، للنيسابورى، على هامش تفسير الطبرى، بيروت ط.٢ ١٩٧٢م.

٢٤ - التفسير الوسيط، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر القاهرة - فى أجزاء متتابعة منذ ١٩٨٠م.

٢٥ - تهذيب التوضيح، لأحمد مصطفى المراغى ومحمد سالم على - ط١٣ القاهرة د.ت.

٢٦ - الجامع الصغير فى النحو، لابن هشام المصرى،ت: د. أحمد الهرميل - القاهرة ١٩٨٠م.

٢٦ - الجمل فى النحو، لأبى القاسم الزجاجى، ت: د. على توفيق - بيروت ط٢ ١٩٨٥م.

٢٧ - حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل - للشيخ محمد الخضرى - القاهرة د.ت.

٢٩ - الخصائص لابن جنى، ت: محمد على النجار - بيروت ط٢ د.ت.

٣٠ - دراسة صوتية صرفية فى لهجة الواحات الخارجية - د. أحمد عارف حجازى - رسالة ماجستير مخطوطة بآداب عين شمس ١٩٨٦م.

٣١ - دلائل الإعجاز فى علم المعانى، لعبد القاهر الجرجانى، ت: الإمام محمد عبده وآخرين - القاهرة ط٦ ١٩٦٠م.

٣٢ - دلالة الألفاظ، د. ابراهيم أنيس ط٤ القاهرة ١٩٨٠م.

٣٣ - دور الكلمة فى اللغة - استيفن أو لمان - ت: د. كمال بشر - القاهرة ط٢ ١٩٦٩م.

٣٤ - سنن أبى داود - لأبى داود السجستانى - ت: محيى الدين عبد الحميد - بيروت د.ت.

٣٥ - سنن الترمذى (الجامع الصحيح)، لأبى عيسى الترمذى، ت: عبد الوهاب عبد اللطيف، بيروت ط٢ ١٩٨٣م.

٣٦ - شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلى - القاهرة ١٩٧٩م.

٣٧ - شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك، ومعه الشواهد للعينى - القاهرة د.ت.

٣٨ - شرح السيوطى على ألفية ابن مالك، لجلال الدين السيوطى، القاهرة د.ت.

٣٩ - شرح اللمع، لابن برهان العكبرى - ت: د. فائز فارس - الكويت ط١ ١٩٨٤م.

٤٠ - شرح المفصل، لابن يعيش، ط القاهرة د.ت.

٤١ - طبقات ابن سعد (الطبقات الكبرى)، ط القاهرة ٢٩٦٨م.

٤٢ - طبقات الحفاظ، لجلال الدين السيوطى، ت: على محمد عمر - القاهرة ١٩٧٣م.

٤٣ - طبقات المفسرين، لشمس الدين الداودى - ت: على محمد عمر - القاهرة ١٩٧٢م.

٤٤ - طبقات النحويين واللغويين، لأبى بكر الزبيدى - ت: أبو الفضل ابراهيم - القاهرة ط٢ د.ت.

٤٥ - العربية الفصحى، نحو بناء لغوى جديد - هنرى فليش - ت: د. عبد الصبور شاهين - بيروت ١٩٦٦م.

٤٦ - علم الدلالة العربى - د. فايز الداية - القاهرة د.ت.

٤٧ - علم اللغة العام - دى سوسير - ت: يوئيل يوسف عزيز-بغداد - د.ت.

٤٨ - قطر الندى وبل الصدى، لابن هاشم المصرى - ت: محيى الدين عبد الحميد - بيروت ١٩٨٤م.

٥٠ - القطع والائتناف، لأبى جعفر النحاس، ت: الخطاب آل عمر - رسالة ماجستير مخطوطة بآداب القاهرة ١٩٧٣م.

٥١ - الكافية فى النحو، لابن الحاجب، شرح رضى الدين الاستراباذى - بيرت ط٣ ١٩٨٢م.

٥٢ - الكتاب، لسيبويه، ت: عبد السلام هارون ط٢ القاهرة ١٩٧٧م.

٥٣ - لسان العرب، لابن منظور المصرى، طبعة مصورة عن طبعة بولاق - القاهرة د.ت.

٥٤ - اللسان والإنسان - د. حسن ظاظا - ط الاسكندرية ١٩٧١م.

٥ - اللغة - جوزيف فندريس - ت: الدواخلي والقصاص - ط القاهرة ١٩٥٠م.

٥٦ - اللغة بين العقل والمغامرة - د. مصطفى مندور - ط الاسكندرية د.ت.

٥٧ - محاضرات فى الوقف - محمد أبو زهرة - ط٢ ١٩٧١م.

٥٨ - المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى د. رمضان عبد التواب - ط١ القاهرة ١٩٨٢م.

٥٩ - المزهر فى علوم اللغة، لجلال الدين السيوطى، ت: محمد جاد المولى وآخرين - القاهرة د.ت.

٦٠ - المصاحف لأبى بكر السجاستانى، القاهرة ط ١٩٨٦م.

٦١ - معانى القرآن، لأبى زكريا الفراء،ت: يوسف شجاعى ومحمد النجار - القاهرة ١٩٨٠م.

٦٢ - معجم الأدباء، لياقوت الحموى، القاهرة ط٣ ١٩٨٠م.

٦٣ - معجم مصطلحات النحو الصرف والعروض - د. محمد إبراهيم عبادة - ط القاهرة د.ت.

٦٤ - مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هاشم المصرى، ت: محيى الدين عبد الحميد - القاهرة د.ت.

٦٥ - المقصد لتلخيص مافى المرشد، لأبى يحيى الأنصارى - على هامش كتاب (منار الهدى) - القاهرة ط٢ ١٩٧٣م.

٦٦ - منار الهدى فى بيان الوقف والابتدا، للأشمونى، القاهرة ط٢ ١٩٧٣م.

٦٧ - مناهج البحث فى اللغة - د. تمام حسان - القاهرة ١٩٥٥م.

٦٨ - المنصف شرح التصريف، لابن جنى، ت: ابراهيم مصطفى وعبدالله أمين - القاهرة ط١ ١٩٥٤م.

٦٩ - النشر فى القراءات العشر، لابن الجزرى - ت: على محمد الضباع بيروت

د.ت.

٧٠ ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع، للسيوسى؛ ـ ت: بدر الدين النعسانى ـ بيروت د.ت.

٧١ ـ الوافى بالوفيات، للصفدى، القاهرة د.ت.

المراجع الأجنبية

1- N. Chomsky; Aspects of the Theory of Syntax; U.S.A. 1976.

2- N. Chomsky; Cartesianlingustics; longman; New york; 1969

3- N. Chomsky; Language and Mind; U.S.A. 1972.

4- R. Fowler; An Introduction to Transfor mational Syntax; London; 1977.

5- R.Wordhaagh; Introduction to Linguistics; U.S.A. 1977.

الفهرست



رقم الإيداع ٤٠٤٨/١٩٩٥
الترقيم الدولى : I.S.B.N
977 - 247 - 036 - 0